محمد سيناي

رواية

الحظر

وسر كتاب الموتى

الإهداءات قد تبـدو عديـدة، لكنهـا - لا شـك- واجبة، فأرجوك أن تحتملها - قارئي الكريم..

فمن يضمن أن العمر سيمهله لإهداء آخر؟!

وأرجو أن تقبـل منهـا **إهـداء خاصًـا لشخـصك الكريم**، أن أعطيتني شرف قراءتـك لهـذه الروايـة المتواضعة.

إلى زوجتي الحبيبة، القاصة الرقيقة.. (**رغده**) التي لولا صبرها ودعمها ما كان لي أن أستمر..

أحبك دومًا..

ومن نافلة القول أنها هي قارئتي الأولى، تقرأ ما أكتبه أولاً بأول، ثم تبدي رأيها وتسأل وتعيد القراءة، فلها دور كبير في كتابة هذه الرواية.

وإلى ابنتيّ الحبيبتين، (**لينا**) و(**إلين**) - حفظهما الله - الفرحة الحقيقية في حياتي.. واللتين لم تألوا جهدًا في صنع أكبر قدر ممكن من الضجيج وتشتيت الانتباه أثناء كتابتي للرواية، وعمل الأبحاث ومطالعة المصادر..

مهما أوتيت من قدرة، فلن أستطيع - أبدًا - أن أشرح كم **أحبكما**.

* * *

إهداء ثاني

إلى والدي الثاني (**رمزي المندوه**) وأمي الثانية (**مديحه**)..

وإلى (**محمـد رمـزي**)، أخًـا وصـديقًا.. وإلى (**رشـا نبيـل**)، رُب أخت لم تلدها أمك.. وإلى (**محمود رمزي**)، الفنان الحالم..

وإلى.. (**عبـد الله إبـراهيم النبـي**) وأشـقائه (**رودينـا**) و(**عبـد العزيز**) و(**أحمد**) و(**زياد**)، حفظهم الله..

* * *

تحية وإجلالاً، جميلين ودائمين..

إلى أصحاب الفضل - بعد المولى عز وجل- على شخصي المتواضع:

إلى **أمي**، عسى أن تكون راضية عني، ولا تكف عن الدعاء لي..

وإلى روح **أبي**، رحمه الله.

إلى الأستاذ والصديق.. د.(**نبيل فاروق**).. امتنان لن أوفيه أبدًا!!

وإلى روح أستاذي، الفنان الكبير الراحل.. أ. (**عبد الشافي سيد**)، رحمه الله.

* * *

مُقَدِّمَة

لاَ بُدَّ مِنهَا

وردت إلى خاطري فكرة هذه الرواية عام 2008.. وبدأت الكتابة فيها في النصف الثاني منه.. ونظرًا لانشغالي وضيق الوقت، كنت أكتب صفحتين كل بضعة أشهر!!

وكان من ضمن الأسباب التي أدت إلى تأخر العمل عليها، بحثي (المستمر) عن مصادر للمعلومات التي تناسبها..

ولكم كان الأمر مرهقًا وشاقًا..

المعلومات عن (عبد الله الحظرد) أجمع أغلبها على أنه شخصية خيالية من ابتكار الكاتب الإنجليزي الأشهر (هوارد فيليبس لافكرافت) أحد مبدعي أدب الرعب والعوالم الكوابيسية..

والقليلين يرون أنه كان شخصية حقيقية اعتمد (لافركرافت) عليها في بناء الشخصية التي أصبحت شهيرة اليوم بكل ما فيها من سحر وغموض..

والمعلومات عن (إرم) – كما لا يخفى عن القارئ الكريم- معدومة، بعد أن خسف بها الله – عز وجل – الأرض وفناها، عقابًا لكفر أهلها الفاسدين.. ولكنها كانت موجودة ذات يوم بالتأكيد، إذ ورد ذكرها في القرآن الكريم..

وكانت رحلة البحث شاقة ومرهقة وطويلة، وأنا أحاول الوصول إلى شخصيات.. ثم التدقيق في الشخصيات وفي أمانة

المصادر وصحتها.. ثم في ربط الشخصيات بالواقع..

أما بالنسبة للمخلوقات التي ورد ذكرها، فبنسبة كبيرة قد تكون صحيحة.. لكن الأحداث التي وردت هي خيال محض..

ناهيك - عزيزي القارئ - عن خريطة الرواية التي امتلأت بالأحداث والشخصيات والموقع والتواريخ.. وفي النهاية تخلصت من معظم الخريطة، وبدأت العمل بناء على ما تبقى منها..

وهنا، كان لا بد من ملأ الثغرات..

ثم العمل على كتابة الرواية نفسها..

وأنا من الروائيين المؤمنين بأنه لا ينبغي - إلا في حالات قليلة - أن تتصور الرواية ونهايتها، قبل أن تشرع في كتابتها.. هذا يصلح في سيناريو مثلاً، مبني على رواية أو قصة وبه هدف أو رسالة.. لكن العمل الروائي، أرى أن الأصوب هو أن تكتب وتكتب، والقلم يروي الأحدث ويتخيل ما يشاء..

فتجد عالمًا افتراضيًا يتشكل بين يديك من نفسه..

لكن النهاية هنا كانت ضرورية من قبل أن أكتبها حتى، بناء على البحث الذي أجريته..

أحب أن ألفت النظر إلى أن هذه النسخة نسخة الكترونية، تم استبعاد الرسوم الداخلية منها وبعض الجماليات لتكون أسهل وأفضل في التحميل، والقراءة الالكترونية.

والمهم في مقدمتي هـذه أمـرين، أحـب أن أنـوه إلـيهما، وأن أؤكد عليهما:

الأمر الأول، هو أن ما جـاء مـن كـلام الكفـر أو الإلحـاد عـلى لـسان بعـض شخـصيات الروايـة، إنمـا أبـرأ إلى الله تعـالى منـه، واضطررت لإضافته - بأقل ما يمكن - تعبيرًا وتوضيحًا لمدى كفـر هذه المخلوقات - الحقيقـي حـسبما جـاء في المـصادر - والـذي جعل فنائهم من قَبل خلق الإنسان، عقابًا من الله - عـز وجـل - نِكالاً وجزاءًا.. والله تعالى أعلى وأعلم.

الأمر الثاني، أرجو القارئ الكريم ألا يتخذ مما جاء في الروايـة مصدرًا أساسيًا للمعلومات، أو يعتمد عليه كأنه مـن المـسلمات.. إذا استرعى انتباهك أمر ما، فقم بالبحث الدقيق والطويـل فيـه، فإن لم تجد ما يثبته فتجاهله، وإن وجدت مـا يطمـئن لـه قلبـك من مـصادر موثوقـة فكـان بهـا، وأرجـو وقتهـا ألا تحرمنـي مـن علمك.. خاصة - أيها القارئ الكريم - ما يتصل بالدين.

ألا هل بلغت؟.. اللهم فاشهد.

أسـأل الله تعـالى أن ننفـع ولا نـضر، وأن تنـال هـذه الروايـة المتواضعة رضاك.

محمد سامي

القاهرة في 29 يونيو 2019

مدخل

حـين تطـورت خليقـة الجِـن، صـارت متفوقـة عـلى الـبِن في كيانهـا.. فاشـتد بطـشها بهـم، وصـار أفرادهـا يتغـذون علـيهم ويأخذون من كيانهم الطيني ليزدادوا قوة وبأسا وعددا..

فهاجمت مخلوقات الجِن مخلوقات الـبِن في حـرب اسـتمرت سنيًنًا، حتى لجأ من بقي من البن إلى الكهـوف والمخـابئ، فـأدى هذا لظهور جيل جديـد مـنهم يـدعى المـن كـان أضـعف حتـى منهم..

وفي ذات الوقت استمر تطور الحن، حتى أنهـا صـارت تتخـذ من كيانها وعاءاً جديدا بدأ منه تشكل نسلها الخِن..

وقضت أثناء ذلك على خليقة البن تمامًا، على حـين ظهـر مـن المن قومًا جددًا هم الدن..

حينها دخلت مخلوقات الخن في صراع مـع مخلوقـات الجِـن نفسها بما لها من قوة أكبر، حتى قضت عليها تمامًا..

ثم شنت الهجوم على ما تبقى من المِن الضعاف المختبئين.

وهنا لم يبق عـلى الأرض سـوى الخـن الأقويـاء والـدن الـذين امتازوا بالعقل..

تطور الدن، كل جماعة بحسب المنطقة التي تقطنها..

فمـنهم مـن عـاش في المـاء فـصارت لـه خياشـيم كالكائنـات

البحرية، ومنهم من نمت له أجنحة فصار من الطيور، ومنهم من استقر على البَر فسار على أربع..

وبما لهم من ذكاء، فقد توحدوا في مواجهة الخن الأقوياء، واستعاضوا بذكائهم عن فارق القوة، وكانت بينهم حربًا ضروسًا سالت دماء الخن فيها، وافترشت خلايا الدن نواحي (بانجايا)* هنا ظهرت مخلوقات الجن..

أدركت الجن أن الأرض لن تتسع لها مع الخن والدن.. وأن هذه الحروب الضروس لا بد وأن تنتهي..

ولأن الجن كانوا أقوى بكثير، ولهم من القدرات ما ليس لدى الآخرين - كالتخفي - فقد انقضوا على الجميع في وقت واحد..

وزادت الدماء والجثث، وكانت للجن الغلبة في النهاية **..

ولم يتعظ الجن بما شهدوه ممن قبلهم..

ففسدوا، وكفر كثير منهم بأنعم الله، واغتروا، وصاروا يسفكون ويقتلون ويزنون ويرتكبون الفواحش..

وبهذا دار بينهم من الأمر نفسه ما كان قد دار بين من خلوا من قبلهم..

---

* الاسم له أثر تاريخي، والمقصود به في الرواية قارة عظيمة ضمت أفريقا وآسيا

** ذكر ابن كثير في البداية والنهاية صفحة 50: قال كثير من علماء التفسير خُلقت الجن قبل آدم عليه السلام وكان في الأرض قبلهم الحن والبن فسلط الله الجن عليهم فقتلوهم وأجلوهم عنها وأبادوهم منها وسكنوها بعدهم

هنا نزلت الملائكة لمعاقبتهم على ما نشروه من فساد عظيم..

يقتلون من يرونه من الجن وسواهم، ويأسرون من يأسرون..

وهلك الفاسدين..

ومن بقوا منهم تشتتوا، فمنهم من سكن الجبال ومنهم من سكن الماء ومنهم من سكن البحار ومنهم من سكن تحت الأرض..

وفي أثناء عودة الملائكة إلى ربهم - بعد أن نفذوا ما أمرهم به - وجدوا طفلا صغيرًا للجان، فلم يعلموا ما يصنعون به!..

كان (إبليس)..

أيقتلونه هو أيضًا؟..

ولكنه لم يرتكب من الذنوب شيئًا!..

صعد به الملائكة إلى السماء، وعاش مكرمًا ذا شأن، حتى أراد الله – عز وجل - خلق آدم ليكون فى الأرض هو وذريته من بعده..

أخذ إبليس – وكان قد كبر وصار من أكثر العابدين لله- يطيف بـ (آدم)، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك، وقال:

- أما لئن سُلطت عليك لأهلكنك، ولئن سلطت عليّ لأعصينك.

فلما نفخ الله فى آدم من روحه وأمر الملائكه بالسجود له،

دخل قلب إبليس الحسد وامتنع عن السجود..

فهبط من الملأ الأعلى مطرودًا مذمومًا، محرم عليه أن يسكنه..

ونزل إلى الأرض حقيرًا ذليلاً مُتَوَعَدًا بالنار هو ومن اتبعه.**

* * *

** يرجى الانتباه.. قليل مما جاء فيما سبق منقول بروايات وفي حكم الصحيح، وتمت الإشارة إلى أسسه في الهوامش.. لكن لا ينبغي أن يتعامل القارئ الكريم مع كل ما سبق على أنه واقع صحيح، فهذا عمل روائي خيالي في الأصل.

الفصل الأول

فَسَادٌ كَبِيرٌ

---

* (٣٠ البقرة)

(1)
ما كان

المكان/ كوكب الأرض – قارة (بانجايا)

الزمان/ غير معلوم، لكنه قبل خلق الإنسان بكثير

الحدث/ وصلنا كما يلي... ولو كنا نشاهد فيلمًا سينمائيًا، لبدأه المخرج بمشهد تخيلي لتكون الخليقة، حيث الفراغ الأبيض اللانهائي يمتد بلا حدود.. ثم يتكون الغبار الذري فالنجوم ثم الكواكب والأقمار، ثم جسيمات تنطلق بسرعات فائقة.. كواكب تنفجر، وتتحول إلى سيول نيازك.. أحدها يسير في مجراه، حتى يصل إلى كوكب يتشكل ويتكون، واللون الأزرق يغطي معظمه.. كوكب الأرض..

وتندفع الكاميرا بسرعة لتلحق بسيل النيازك فيبدأ الكوكب يكبر ويكبر – نظرًا لاقتراب الكاميرا منه – في ذات الوقت الذي يكتمل فيه تكونه..

تندفع الكاميرا مغادرة السيل - الذي يكمل طريقه بعيدًا عن

الكوكب – فتخترق الغلاف الجوي - ونرى تأثيرات الحركة والألوان والاحتراق على أطراف الشاشة، حتى تتجاوزه - فنرى السماء البديعة، والبحار الخلابة، واللون الأخضر الفاتن الذي يغطي الأرض، دلالة على الأشجار والنباتات..

إنه بديع صنع الله – عز وجل – الذي لا يمكن لغيره – سبحانه وتعالى - أن يبدعه..

تهدأ سرعة الكاميرا بالتدريج، حتى تصل إلى منطقة يابسة تتميز بالهدوء، ولا نسمع سوى تغريد الطيور، واحتكاك أوراق الأشجار، وأصوات هادئة لحيوانات آمنة..

وسط كل هذا تظهر بحذر أجساد غريبة الشكل، عجيبة الهيئة.. يظنها الناظر قبيحة بشعة التكوين.. لكنها رغم ذلك عاقلة، بل ربما ذكية.. أقرب إلى المسوخ هي، تستطيع أن تتفاهم فيما بينها.. وكان من الواضح أنها مطارده من آخرين.. مظاهر الارتباك والخوف جليّة رغم دمامة ملامحها..

وبهدوء اقترب بعضها من بعض وبأصوات خفيضة - أجشة وخشنة – غمغم أحدهم بلغة لا مثيل لها اليوم:

- ماذا سنفعل يا (بندوزا)؟.. أنت قائدنا وأمرنا بيدك.

- أمرنا بيد الإله – خالقنا – يا (كاترك).. فلنسأله الغوث.

بنفس الصوت الخفيض، ولكن بعصبية واضحة، غمغم

(كاترك):

- هل ستعود لأحاديثك العجيبة هذه؟.. أين هو الخالق الآن، ونحن على وشك أن نهلك بأيدي (الحن) الملاعين..

نظر إليه (بندوزا) بعتاب، فغمغم آخر بغضب صريح:

- أي (بندوزا)، ألم تسمع بأن قائدهم (جافريين) قد أقسم بأجداده ألا يترك أحدًا منا نحن (البِن) حيًا؟.. نحن!.. أول العقلاء على هذه الأرض، يتمرد علينا هؤلاء الملاعين بعد أن عظموا أنفسهم وزادوا قدراتهم؟

قال (كاترك):

- لعمري أنك لأنت المسئول عما صرنا إليه يا (مندوزا).. صرفت نفسك عنا وعن أهلنا بانعزالك لعبادة ما لا نرى وطلبت منا أن نطاوعك في هراءك هذا، حتى صار مآلنا إلى ما نحن فيه!.

بدا استحسان الآخرين واضحًا في همهمات التأييد التي أطلقوها، وقال آخر:

- آن الأوان أن نخلع (بندوزا).. وأرى أن نولي (كاترك) علينا زعيمًا وقائدًا، فهو الوحيد القادر على أن يخرجنا من ذلك البأس الذي سيصيبنا.

صمت (كاترك) واكتفى بأن تطلع إلى وجه (بندوزا) في صمت صارم، وفي هدوء تام – قد يبدو أقرب إلى الاستسلام – ناول الثاني

عـصاه إلى الأول، وخلـع مـا يبـدو كتـاج مـن عظـام الحيوانـات، وضعه بيده على رأس (كاترك)، وهو يقول:

- نِعم الرأي.. لقد أرحتموني كما لا تتخيلون.

عقد (كاترك) حاجبيه في غضب شديد، وكأنما لا يروقه موقف (بندوزا) وقال:

- إذن.. فليكون أول أمر لي عليكم، هو قتل (بندوزا).

بُهت الجمع الـصغير، وتبـادلوا نظـرات الحـيرة والـتردد فـيما بينهم، على حين ابتسم (بندوزا) قائلاً:

- نِعم الرأي أيضًا يا (كاترك).. لقد عشت مديدًا بما يكفـي كي أكره هذه الحياة، واني لراغب في الانتقال للحياة الأخرى.

كادت ابتسامة (كاترك) الساخرة أن تلتهم وجهه وهو يقول:

- الحياة الأخرى؟.. لا زلت في هراءك هذا؟!..

وبغتة، غمس سلاحه البدائي الـشبيه بخنجـر مـن العظـام في صدر (بندوزا) بِغَدر، فـشهق الأخـير بـألم، وتحولـت الـشهقة إلى آهه عندما أدار (كاترك) السلاح في الصدر ليزيد من الجرح، قبـل أن يسحبه، تاركًا جسد (بندوزا) يهوي إلى الأرض وهو ينتفض..

وبـشماتة واضـحة – لم يحـاول أن يخفيهـا – راقـب (كـاترك) ارتعاشة الجسد المغدور حتى همد..

وفي توتر وصمت تبادل الجمع النظرات، فقال (كاترك) بحزم:

- من لم يرقه الأمر يمكنه أن يغادرنا، ويـذهب ليلقـى مـصيره من (الحن) منفردًا.

أحنى الجمع رؤوسهم في خنوع، فاعتدل هو في وقفته، وقال:

- هيا.. سنذهب من هذا الطريق.

سأله أحدهم في تردد:

- وماذا عن جثة (بندوزا)؟

ابتسم في سخرية وهو يتحرك مجيبًا:

- دعها لـ (الحن) يلتهون بها قليلاً، علّ جثمانه ينفعنا فيما لم ينفعنا هو به.

وتحركـوا وراء بعـضهم في صـمت تـام، مغـادرين المنطقـة، وجسد (بندوزا) الهامد تخرج منه سوائله ذات الرائحة النفاذة.

* * *

" أريد هذه الشرذمة بأي ثمن.. هل تفهم يا (هولت)؟"

بهذه الجملة الغاضبة، ابتدر عظيم (الحن) قائـد قواتـه حـين رآه، فقال الأخير وهو ينحني:

- وسأجلبهم بين قدمي مولاي (جافريين) العظيم.

- وماذا عن قبيلتهم؟

- لقد أفنينا معظمها يا مولاي.. وجثثهم العفنة تملأ طرقات قريتهم الحقيرة.

- ماذا تعني بمعظمهم؟.. لماذا ليس جميعهم.

أجابه (هولت) بتوتر:

- لقد استطاع بعضهم الهرب يا مولاي.. كما أن هؤلاء الملاعين خِلقتهم ليست مثلنا.. يكفي أن تقطع جسد الواحد منهم فيموت، لكن قطعة ساقطة منه كفيلة بأن تنمو وتعود للحياة.. لذا فليس من الممكن أن أتأكد من هلاك جميعهم.

صرخ (جافريين) بغضب، صرخة خُيِّل لـ (هولت) أنها رجت الأشجار حولهم، وهتف:

- استخدم (ضوء الليل)* إذن..

سرت في جسد (هولت) رعشة باردة، وهو يكرر:

- (ضوء..).. (ضوء الليل) يا مولاي؟

- نعم.. إنه لعين.. قادر على أن يأكل أجسادهم الحقيرة، فلا تنمو مجددًا.

- لكن يا مولاي.. رجالنا قد يصابون بأذى.. أنت تعرف أننا لا نستطيع السيطرة على القبس الصغير منه، فما بالك بالكثير.. ربما

---

* يقصد (النار)

يلتهم رجالنا كذلك.

عقد (جافريين) حاجبيه بصرامة، وهتف بصوت قاس:

- هل أبدو لك كما لو أني أهتم؟

اتسعت عينا (هولت) في ارتياع وهو يقول:

- لكن يا مولاي.. إنهم.. إنهم رجالنا.

ضاقت عينا (جافرييت) وهو يحدق في وجه (هولت) قبل أن يقول ببطء:

- يبدو أني قد أخطأت حين ظننتك تصلح لقيادة جيوشي العظيمة.

أحنى (هولت) رأسه في استسلام وتوتر، وقال:

- لا يا عظيمي.. أمرك مطاع وسينفذ.

- اذهب إذن.. انه الأمر هذه المرة يا (هولت) فقد طالت تلك الحرب اللعينة.. أريدها أن تنتهي اليوم.. هل تفهم؟... اليوم.

ظل (هولت) على انحناءه - وهو يسير مغادرًا حضرة (جافرييت) - وحين ابتعد عن ناظريه رفع رأسه في غضب، وغمغم محدثًا نفسه:

- أقتل (البِن) نعم.. لكن أتسبب في مقتل أهلي وعشيرتي؟!..

يا للجنون.

ثم انتفض وهو يتلفت حوله خشية أن يكون أحدهم قد سمعه، فيوغر عليه صدر (جافرييت)، ثم أسرع الخُطى إلى مأموريه، وألقى إليهم بالتعليمات الجديدة.. فليتم اختيار أكبر عدد ممكن من الجنود المغضوب عليهم، وليلتفّوا في دائرة واسعة حول أرض (البن) فيشعلوا (ضوء الظلام) كي يلتهمهم عن بكرة أبيهم.

* وماذا عن رجالنا؟

- ألا تفهمون.. لهذا سيتم اختيارهم من المغضوب عليهم.

* * *

تسلل جمع (البن) القليل المتبقي إلى أقصى أرض (بانجايا) وغمغم أحدهم في حنق:

- إلى أين نسير؟.. أين نذهب؟.. ولماذا؟

كعادتهم تبادلوا النظرات الحيرى، ولم يجب أحدهم، فجاء صوت (كاترك) مجيبًا في حزم:

- سنلتجئ إلى الكهوف.. سنجد لنا بعض المخابئ.

ساد الصمت قليلاً قبل أن يتوقف أحدهم فجأة عن المسير، فنظر إليه الباقين وتوقفوا، فشعر (كاترك) بهذا والتفت إليهم في

غضب قائلاً:

- لم توقفتم؟

أجابه أول من توقفوا قائلاً بصرامة:

- هل تركنا أهلنا وعشيرتنا كي نهرب ونختبئ في الكهوف مثل الأنعام؟

سأله (كاترك) بسخرية:

- وماذا تود أن تفعل؟.. هل ستحارب جيش (الحن) العارم؟

سأله الرجل مرة أخرى وقد تلون صوته بغضب:

- هل لهذا قتلنا (بندوزا)؟

اكفهر وجه (كاترك) وقال:

- ماذا تعني؟

أجابه آخر بعصبية:

- إنه يقول ما أفكر فيه.

ارتفع صوت آخر:

- وأنا

فارتفعت همهمات التأييد، حتى هتف بهم (كاترك) ليصمتوا، وقال:

- ماذا توقعتم؟.. هل سنذهب ونقتل (الحن).. لقد انتهى

أمر جماعتنا ولا بد أن (الحن) قد أفنوهم عن بكرة أبيهم.. لا سبيل أمامنا سوى أن نختبئ حتى لا يفتكوا بنا.. أم تودون إلقاء أنفسكم على عظام أسلحتهم؟

أتاه صوت ساخر يقول:

- دعوا عنكم هذه المهمة، فسيسرنا نحن أن نقوم بها.

ارتعدوا جميعًا، حين ظهر من بين الأشجار وخلف صخور الجبل ما يقارب ثلاثة أضعاف عددهم من (الحن) المسلحين، وقد التفوا حولهم وأسلحتهم مشهرة تجاه صدورهم..

وبصوت فقد تهكمه وقوته، غمغم (كاترك):

- كـ. كيف!.. كيف..!!..

منعه الخوف من إكمال جملته، فأجابه قائد (الحن):

- توقعنا أن هذا هو السبيل الذي ستتخذونه من أجل الهرب.. وأفضل مكان للاختباء هو الجبل.. الكهوف التي تملأه.. فأردنا أن نوفر الوقت والجهد، وننتظر الهاربين أمثالكم عند سفحه.

بصق أحد (البِن) على وجه (كاترك) في غضب، فقهقه قائد (الحن) وهو يقول:

- افعلها مجددًا ولن أقتلك.

لم يصدق الباصق أذنه، لكنه فعلها مرة أخرى، وأخرى.. زادت قهقهات القائد، وقال:

- كل من يفعلها منكم، لن أقتله.

وهكذا غرق وجه (كاترك) ببصاق رفاقه، ما عدا معارضه.. وحده وقف معتدًا، لا يفعل مثل أقرانه.. فنظر إليه القائد بسخرية، وقال:

- أهو أخيك؟

أجابه الرجل بقوة:

- بل هو مَن قادنا إلى هلاكنا، وفتك بقائدنا الحبيب.. تبعناه طائعين.. وندمنا.

سأله القائد وهو يقترب منه الهوينى متبخترًا:

- فلم لم تبصق إذن؟

- لسببين..

وصمت.. في استهتار سأله القائد وقد وصل إليه:

- ما هما؟

- الأول أني لن أبصق على أحد من عشيرتي إرضاء لمختل من أعدائي.

ارتفعت ضحكة القائد وهو يحك وجهه بأنامله الطويلة

القذرة، والتي تشبه أنامل الحيوانات في تدبيبها:

- والثاني؟

أجابه الرجل وقد ابتسم للمرة الأولى في سخرية:

- أنك لن تقتل أحدنا بيدك أبدًا.. بل بأيدي رجالك.. لذا فن وعدك لا صحة له.

أجابه القائد بنفس السخرية:

- أخطأت.. فأنا سأقتلك أنت.

وأعقب جملته بأن اختطف ما يشبه الرمح من يد أحد رجاله، ودسه في رقبة رجل (البن) بقوة، جعلته يخترق العنق قاسي الجلد، ويمر من الجهة الأخرى.

ارتعد جسد الرجل، وجحظت عيناه رغمًا عنه.. وزيادة في النكاية والتنكيل به، دفعه القائد أمامه بقوة حتى ألصقه بإحدى الأشجار غارسًا السن المدبب للسلاح في الشجرة، ولف بعض النباتات حول العنق..

وهكذا، ظل الجسد الميت واقفًا مرغمًا في مشهد مثير للغثيان والأسى، وقطرات السائل تخرج من مكان الجرح العميق، فتتساقط على الأرض بصوت مثير للرهبة.

راقب (كاترك) المشهد حتى التفت إليه القائد وعلى وجهه

ابتسامة تَشَفٍّ، وهو يقول:

- لا أحب المتذاكين.

ثم أشار إلى (كاترك) قائلاً:

- الآن دورك أنت.

ثم أشار إلى رجلين من رجاله، فأحكما قبضتيهما على (كاترك) على حين اقترب هو منه مخرجًا سلاحه الشبيه بالخنجر ووضعه أسفل ذقن (كاترك) وهو يسأله:

- كيف تحب أن أفعلها؟.. هل أقتطع منك قطعة، ونجلس نراقبها لنرى كيف سيتكون منها (بن) حقير آخر؟..

أجابه (كاترك) وقد استرد صوته قوته:

- بل هكذا.

وأعقبها بأن اعتمد على جسدي الرجلين ليدفع جسده بقوه تجاه السلاح.. فاخترق عنقه، وصدرت من حنجرته حشرجة قوية..

راقبه القائد بسادية وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، ثم نزع السلاح منه، فتركه الرجلان ليسقط على الأرض، قبل أن يشير القائد لرجاله إشارة فهموا معناها..

وسقطت جثث (البن) وراء بعضها البعض، قبل أن يبتعد

القائد ويراقب – من مسافة آمنة – رجاله وهم يشعلون بخوف حقيقي النيران لتلتهمها.

* * *

(2)

ما صار

وهكذا - بعد حرب استمرت سنينًا طويلة - ساد (الحن) الأرض، في حين لم يعد لـ (البن) أي أثر، ولم تتم رؤيتهم مجددًا أبدًا..

وما لم يعرفه (الحن) أن أعدائهم لم يفنوا عن بكرة أبيهم، بل أن الشراذم التي نجحت في مسعى الفرار، والبقايا التي نشأت مجددًا، التجأت إلى الكهوف ومخابئ الأرض، وعاشت حياتها في سرية كاملة، وحذر تام..

بل، وبدأ يظهر منها قوم جدد..

وعلى كل حال، لم يكن على (الحن) أن يقلقوا لا من (البن) ولا من خليفتهم المباشرة التي دعت نفسها بـ (المن).. فـ (المن) كانت في عز نسلها وانتشارها أضعف من أن تواجه (الحن).. بيد أنها ظهر منها جيل ثالث، دلّت الشواهد على أنه يمتاز بالذكاء الشديد، والقدرة على التخطيط والعمل الجماعي..

جيل يدعى (الدن)..

لكن رغم ذلك، فقد كان على (الحن) بالفعل أن تقلق.. فنسلها - هي نفسها - التالي، في سبيله أن يذيقها من الويلات ما لم يتصوره أفرادها من قبل أبدًا، ولا حتى في أسوأ كوابيسهم، أو على يد ألد أعدائها!..

نسل دعا نفسه (الخِن)..

فبعد مرور سنوات عديدة على ما سبق، وبعد أن استقر لـ (الحن) الأقوياء حكم الأرض كلها - فلم يعودوا يستقرون في (بانجايا) وحدها، بل انتشروا في شتى ربوع الأرض قاطبة.. وبعد أن نسوا تمامًا كل شيء عن (البن) ولم يردهم أي علم عن (المن) ولا (الدِن).. وبعد أن مل (الحن) من السلام وعدم وجود حروب يخوضونها - بما جبلوا عليه من حب القتال وشهوة القتل- انشغلت تلك المخلوقات بالنسل الجديد الذي انحدر منها - والذي ورد ذكر وصفه في صفحات مضت – وانشغلت بهيئته العجيبة..

وزاد انشغالهم أكثر بمحاولة فهم ذلك السائل غريب اللون والتكوين، الذي يسيل من أجسادهم عندما يصابون!.. سائل أحمر دفيء لا رائحة نفاذة له* لم يعهدوه في حياتهم من قبل!

* ذكرنا من قبل أن الخن كانوا أول المخلوقات التي في أجسادها الدماء كما يقول

ثم زاد الانشغال بطبيعتهم أيضًا التي فاقت طبيعة أسلافهم التواقة للافتراس، وأكل المخلوقات الأخرى من أسماك وحيوانات..

وفاق انشغالهم ذروته، بالطبيعة التواقة للذكور والإناث، وتلك الأفعال العجيبة التي يأتونها ما سبقهم إليها من أحد من قبل، والتي كانت تؤدي بعد قليل من الوقت لانتفاخ بطون الإناث لحوالي ثلاثة فصول من العام، يأتي بعدها الكثير من الصراخ والسوائل الحمراء، مع مخلوق جديد منهم يأتي صغيراً ثم ينمو ويكبر مع الوقت!.

جلس (هولت) – الذي كان قائد الجيوش سابقًا، فصار حاكم (الحن) منذ بضع سنين بعد أن رحل (جافريين) عن الحياة، واختارته العشيرة خلفًا له بدلاً عن ابنه الضعيف – مهمومًا وقد بدا عليه كبر السن، وحوله مستشاريه وقادة جيوشه الجرارة، وهو يقول مستطردًا حديثًا يكتمل:

- كل هذه الصفات في نسلنا الغريب، تثير قلقي كما ترون.. وكما تعرفون هم يزدادون كثيرًا، وبعض إناثهم تأتي - من جسدها اللعين- في كثير من الأحيان بأكثر من واحد.. ما يخيفني أن رجالنا يأتون بأخبار من كافة أرجاء المعمورة، بأنهم يعدون نفسهم لأمر ما بلا شك.. انهم ينظمون أنفسهم ويرتبون بعضهم

في جماعات قوية.. ماذا لو تحولت إلى جيوش انقضت علينا ونحن غافلين؟

صمت مريديه وتبادلوا نظرات الحيرة، قبل أن يقول أكبرهم سنًا:

- أي عظيمنا.. لا شك أن لمخاوفك أسباب، ولا نستطيع أن ننكررها كلها.. لكن لا نظن أبدًا أن نسلنا الخاص، سيحاربنا.. فلا مبرر لهذا أبدًا!..

قال آخر مكملا:

- لكننا نتفق معك في ضرورة مراقبتهم.. فإذا بدرت منهم أدنى القلاقل أو التمرد علينا، ما رحمناهم.

قال ثالث:

- أرى أن نزيد الرقابة عليهم.. والأفضل ألا يشعروا بهذا..

استحسن الجميع الرأي، وراقبهم (هولت) بعض الوقت وهم يتناقشون، ثم قال مقاطعًا إياهم فأنصتوا:

- أرى أن نفرقهم في أماكن متباعدة كجماعات صغيرة.. ونضع عليهم حراسة قوية.. وأن نستدعي زعمائهم لمجلسنا هذا، ونتحدث معهم بصراحة، فإذا تبين من أي منهم نية لا نرجوها، فلا بأس أن نهلكهم جميعًا.

أخذوا يفكرون في كلامه.. يهلكون نسلهم كلـه؟.. أحقًـا يريـد النسل أن يهلكهم هو؟.. أي لعنة حلت بهم، فيقتلون أبنـائهم أو يقتلهم أبنائهم؟.. بل أي ذنوب لعينة ارتكبوها لتعاقبهم الـسماء هكذا؟!

* * *

في ذلك الوقت، وبعيدًا عن الأعـين - في الكهـوف الجبليـة، أو المغائر التي تملأ الغابـات الـشاسعة، أو حتـى في مخـابئ مخفيـة بمهارة تحت الأرض - كان (الدن) - النسل الجديد مـن (المـن) – يجتمعون في منطقتهم الرئيـسية بقـارة (بانجايـا) التـي حـافظوا على تواجد قوي ومركزي لهم فيها، لحين استعادتها وهي أرضهم الأم..

وعلى غرار المجتمعات المتحضرة اللاحقة، جلسوا عـلى الأرض حول قطعـة كبـيرة مـن لحـاء شـجرة عملاقـة، وقـد خـط عليهـا أحـدهم بحجـر أبـيض بعـض الرسـوم التوضـيحية التـي تـشبه الخريطة، وجلس زعيم (الدن) قاطبة المدعو (فيدان) وهو شاب بالنسبة لعشيرته، لكنه يمتاز بحكمة ودهاء شديدين وذكاء فطن يشهد له بـه الجميـع، فاسـتحق أن يكـون القائـد الأعـلى – كـما لقبوه- خاصة وهو ينحدر من نسل بن (بندوزا) المدعو (سـاران) الذي استطاع الهرب وهو صغير مع أمه يوم مقتل أبيه...

وفي اهتمام كان الجمع ينصت لـ (فيدان) وهو يقول:

- اسمحوا لي بداية أن أرحب بالإخوة.. (شاكال) رئيس أهلنا في قارة (جوندانان)* .. (صنزودا) رئيس أهلنا في قارة (أوبا)** (طالنطسين) رئيس أهلنا في قارة (بطلانطس)***... وأحيي شيوخنا - مستشارينا الشخصيين - وكذا قادة جيوشنا الشجعان.

هز الجميع رؤوسهم محيين إياه، وبعضهم البعض، على حين تابع هو:

- كما لا يخفى عليكم - مما تكون لدينا جميعًا من صورة عامة، بناء على تقارير جواسيسنا في الأرض موثوقة ومتفقة – أن هناك أمر يُدبَر من (الخن)، وأغلب الظن أنه سيكون ضد صالح (الحن)..

صمت لحظة، ليسمح لهم باستيعاب مقدمة حديثه، ثم تابع:

- وإني لأرى أنه من الخطر أن ننتظر قيام حربهم أكثر من ذلك.. فهذا الوقت هو أفضل وقت لتنشب الحرب بين الخلف

---

* الأمريكتين حاليًا

** أوروبا حاليًا

*** يرجح كثير من العلماء أنه كانت هناك قارة متوسطة في المحيط الأطلسي، تربط بين (أفريقيا) و(أمريكا) .. ولو كانت وجدت بالفعل، فمن المرجح بشدة أن تكون هي قارة (أطلانطس) التي تحدث عنها (أفلاطون) في كتابه الأشهر (محاورات كريتياس)

والسلف..

سأله (شاكال) باهتمام:

- لم يا بن (بندوزا) العظيم؟

أجابه (فيدان):

- لأن (الخن) – أي صديقي- لم تكتمل قواهم بعد.. فلو قامت الحرب بينهم وبين (الحن) الآن، فإنهم إما سيخسرونها ويفنوا على يد (الحن).. وإما أنهم – بشق الأنفس- سيهزمون (الحن)... وفي كلتا الحالتين، فالفائز خاسر.. حيث أن المهزوم سيتسبب له في خسائر فادحة، ستكسر شوكته وتضعفه إلى أقصى درجة.. مما يسمح لنا عندها أن ننقض نحن على المتبقين ونفنيهم بسهولة تامة، فنسترد أرضنا وكرامة أهالينا السابقين، فترتاح أرواحهم في مراقدها.

هز أغلبهم رؤوسهم في استحسان، وقال (طالنطسين):

- أنا أتفق مع هذا الرأي، فهو رأي صائب.. لندعهم يهلكوا بعضهم بعضًا، ثم ننظف نحن الفوضى من بعد ذلك، فلا نعرض أهلنا للخطر.

مرة أخرى ارتفعت أصوات الاستحسان، فمال (فيدان) على (شاكال) يسأله باهتمام:

- ما رأيك يا رئيس (جوندانان).

أجابه (شاكال) على الفور دونما تردد، وبصوت واثق قوي:

- أنا معك يا صديق العمر أينما ذهبت وكيفما فعلت.

ربت (فيدان) على كتفه بامتنان وحب، ثم اعتدل في مجلسه وسأل باهتمام:

- بم تشيرون عليّ؟

أجابه أحد المستشارين العجائز:

- أرى أن نشعل نار الفتنة بينهم.. لا بد أن (الحن) قد بلغهم خبر ما عما يدبره (الخن) وينتظرون التأكد فقط.. فلم لا نؤكد لهم ظنهم؟

- وكيف هذا؟

- أرى أن نبدأ الفتنة في (بطلانطس)..

نظر إليه (طالنطسين) في اهتمام – فهذه أرضه وهو المسئول عنها- وأنصت إليه وهو يتابع:

- إن (الحن) اعتمدوا على أن (بطلانطس) محاصرة بين (بانجايا) و(جوندانان)، لهذا فعدد رجالهم هناك أقل من الأخريين.. في حين أن عدد (الخن) أكثر مما هو معتاد فيهما.. ولا بد أنهم لاحظوا نفس الأمر، فكل ما علينا هو تدبير حوادث اغتيال كثيرة قدر الإمكان لرجال (الحن)، مما سيثير الشبهة بأن

مؤامرة (الخن) ستبدأ من هناك، فيقوم (الحن) بهجوم قوي ومباشر على (الخن) فيها.. عندها نعمل على نشر الخبر بسرعة في باقي أرجاء المعمورة، فتقوم ثورات وانقلابات (الخن) قبل أوانها وتبدأ الحرب.

وافق الجميع على الرأي، وبدأوا في مناقشة كيفية تدبيره.

* * *

كان ما دار في الاجتماع الخاص بـ (الدن) هو بالفعل ما تم تنفيذه بحذافيره..

وكان البطلانطسيون من المهارة بمكان في تنفيذ الهجوم على رجال (الحِن) وقتلهم، وأحيانا التمثيل بهم بما يتفق مع وحشية (الخن)، مما أطار صواب (الحن) فنكلوا بـ (الخن) في كل مكان من الأرض، بأوامر من (هولت) شخصيًا ومجلسه..

وعلى الفور، مدفوعين بالغضب - وحماسة تآمرهم المسبق- رد (الخن) بمنتهى القوة والقسوة..

ومن العجيب أنه على الرغم من عدم الاستعداد الكامل لـ (الخن) إلا أنهم أنهكوا (الحن)، وأجبروهم في مناطق شتى على التراجع، قبل أن يسحقوهم..

وتواترت الأنباء لـ (هولت) تباعًا..

كانت البداية بهزيمة ساحقة لـ (الحن) في (بطلانطس)

وسيطرة تامة لـ (الخن) عليها..

ومنهـا انطلقـت قـوات مـساندة إلى (جونـدانان) لمـساعدة (الخن) هناك ضد (الحن)، مما أدى لسقوط الأخيرين بـين شـقي رحى..

الهجوم الأساسي على الأرض، والمدد الإضافي القادم من البحر..

وسرعان ما سقطت (جوندانان) من يد (الحن)..

وقبلها سقطت (أوبا)..

لم يبق لـ (الخن) – بطبيعة الحال- سوى (بانجايا) التي لاقـوا فيها أشنع حرب خاضوها..

فبكل يأس قاوم (الحن) وشيدوا قلاع آوتهم لفترة من الـزمن، لكنها كانت قصيرة..

فلقد جاء المدد سريعًا من (جونـدانان) بعـد اسـتقرار الأمـور فيها، فكانت نهاية (الحن)..

ومن سخرية القدر أن من استطاعوا النجاة منهم، هم الـذين فروا للكهوف والمخابئ!.. فلقوا فيها – بصدفة بحتـة – أعـدائهم الجـدد مـن نـسل أعـدائهم الأقـدم.. ولاقـوهم هـؤلاء بالأسـلحة فقتلوهم، فكان فنائهم عن بكرة أبيهم.

* * *

" مرحى يا بن (بندوزا).. لعمري أنك أمكرنا وأرجحنا عقلاً"

هتف (طالنطسين) بالجملة السابقة في مرح صاخب، وهو يحتضن (فيدان) بقوة وحرارة، وقد لبى مثل باقي زعماء القارات من (الدن) طلب الأخير للقاء العاجل..

وبعد أن تبادلوا التهاني عن نجاح خطتهم في تسريع الحرب بين (الحن) و(الخن) وهدأت مشاعرهم واتخذوا مجالسهم، ابتدر (فيدان) القوم بقوله:

- النصر الكامل لم يتحقق بعد كما تعرفون أي قومي الأعزاء.. لقد انكسرت شوكة (الحن) ومن بقي منهم صاروا مشتتين بالفعل كما فعلوا من قبل بآبائنا وأجدادنا.. لكن الخطر الآن في خليفتهم (الخن)..

ابتدره مستشار (شاكال) بقوله:

- أحسنت القول والظن يا مولاي.. إنهم على قلة عددهم وضعفهم الحالي، أشد خطرًا من (الحن).. إنهم في نشوة النصر الآن، ويزيد عليها شراستهم الطبيعية التي جبلوا عليها..

أشار إليه (فيدان) بإصبعه وهو يقول:

- بالفعل أيها الحكيم.. لذا أرى أن نستعد جيدًا حتى تهدأ حماستهم ويطمأنوا لنصرهم ويتخلوا عن حذرهم، فنهاجمهم بكل قواتنا هجمة رجل واحد، فلا نذر منهم أحدًا..

قال (شاكال) معترضًا في ضيق:

- لكننا مستعدون بالفعل منذ وقت طويل.. ورجالي متحمسين لبدء حربنا والخلاص من هؤلاء الملاعين.. لا أرى مبررًا حقيقيًا لهذا التأجيل.

أجابه (فيدان) بهدوء:

- إن الحماس متأجج في نفوس كل الرجال يا أخي (شاكال).. وهذا أمر حميد، لكن واجبنا أن نحافظ على رجالنا من حماسهم، وأن نكون نحن صوت العقل.

استحسن القوم قوله، فاندفع (طالنطسين) يقول:

- أرى أن نحذو ما قال (فيدان) ووافقه عليه الحكماء.. بعض الانتظار والاستعداد لن يضيرنا.

لم يرق القول لـ (شاكال) فاندفع في نقاش أطال المجلس حتى أذعن هو في النهاية عن ضيق وغير اقتناع.

* * *

(3)

ما آل إليه الحال

في صخب ومجون حقيقيين، اندلعت احتفالات همجية في أراضي (الخن)، شملت - من ضمن ما شملت - ممارسات إباحية داعرة، ورقصات بدائية، ومشاهدات سادية، لصراعات دامية بين ما تبقى من أسرى (الحن) وبين حيوانات الأرض، كان أسير (الحن) فيها يتم تمزيقه إربًا وهو حي، بأنياب ومخالب الحيوانات، فقط إرضاء لسادية (الخن)..

وفي رضا جلس (سافوي) - سيد (الخن) - يداعب إحدى النساء وقد جلست لاهية على ركبتيه، ومن حوله ضحكات رجاله ونساءهم يردد صداها الليل البهيم، وقد أضاءوا نارًا عظيمة في دائرة واسعة، في منتصفها أوتاد قوية مرسية في الأرض، وقد عُلق إليها بعض أفراد (الحن) وأسفلهم نيران أخرى تشوي أقدامهم، فامتزجت صرخاتهم - القوية المعذبة - بضحكات نسلهم المارق..

كان مشهدًا رهيبًا تعجز الأقلام عن وصفه، والعقول عن استيعابه..

ومن بين ضحكاته المقهقهة قال (رادا) قائد جيوش (الخن):

- مرحى يا سيد (الخن).. أصبحت الدنيا ملك يمينك دونما شريك.

اتسعت ابتسامة (سافوي) وهو ينظر إليه، ويده تلامس المرأة، وأنصت لـ (ردايف) الذي تابع ملوحًا بيده:

- ما عاد الآن سوى الرب في السماء، وأنت في الأرض.

قطب (سافوي) جبينه ضيقًا وقال:

- خسئت يا (رادا).. ما لي من شريك في ملكي، لا في السماء ولا في الأرض.

ارتبك (رادا) وقال:

- معذرة يا سيدي، ما قصدت...

ألقى (سافوي) بالمرأة بعيدًا عن جسده، فألقت آهة الم وفزع وهي تسقط بعيدًا، على حين أشار هو بذراعه كلها إلى (رادا) مكملاً في غضب:

- لو أن هناك رب، فأنا أقوى منه.. هل تفهم؟

ارتعد (رادا) على الرغم منه، وهو يهتف منحنيًا:

- أفهم.. أفهم يا سيدي

وقف (سافوي) وهو لا زال على غضبه، فهب جميع من حوله وقوفًا، على حين غادر هو المجلس وهم منحنين له، فلما ابتعد غمغم أحدهم:

- تبًا.. لقد أفسد مزاجي بغضبه.

أشار إليه (رادا) أن يصمت، وغادر المجلس بدوره سائرًا وراء (سافوي)، حتى لحق به، فوجده يجلس أسفل جزع شجرة عظيمة، فاقترب منه بهدوء وخنوع، وجلس إلى جواره في صمت..

وطال صمتهما..

طال حتى تحدث (سافوي) بصوت خفيض، قائلاً:

- أتظنه موجود حقًا؟

لم يفهم (رادا) السؤال، فنظر متسائلاً إلى (سافوي) الذي تابع:

- الرب.. أتظنه موجود؟

صمت (رادا) في حيرة، وقال:

- لا أعلم.. كثيرين منا يؤمنون بوجوده، وكثيرين لا يفعلون.

- وماذا عنك؟

صمت (رادا) لحظات مفكرًا، قبل أن يقول:

- أظنه موجودًا.

ابتسم (سافوي) في سخرية، وقال:

- لـو أنـه موجـود، فلـم تخـلى عـن (الحـن)؟.. ومـن قـبلهم كثيرين، حتى (البن) الذين كانوا أكثر منا إيمانًا به؟

هز (رادا) كتفيه بحيرة، فتابع (سافوي):

- لا أظنه موجود يا صديقي.. ولو كان لـه وجـود فأنـا أقـوى منه.

سأله (رادا):

- لماذا تشغل بالك بهذا الأمر؟

شرد (سافوي) بعض الوقت، ولزم (رادا) الـصمت، حتـى قـال الأول:

- لو كان هناك رب، فلا أريده أن يشاركني في قومي..

ثـم نظـر إلى (رادا) بغتـة بنظـرة حـادة، بعثـت الخـوف في جسده، وتابع:

- هل تفهم؟.. لا أريد لقومي أن يؤمنوا بغيري.. أنا سـيدهم.. أنا ربهم..

ثم هب واقفًا، وتابع:

- بـدءًا مـن الغـد، أريـدك أن تـشرف بنفـسك عـلى معركـة

جديدة..

هب (رادا) ملبيًا وهو يقول:

- من سنحارب؟

- الرب

ارتعد (رادا) من هول المفاجأة، وتمتم:

- الرب؟

امتلأ جسد (سافوي) بالحماسة وهو يقول:

- نعم.. أريدك أن تشرف على بناء معابد لي.. أريد تماثيل عظيمة تمثلني في كل مكان من أرجاء المعمورة.. سيكون لقومنا رب يعبدونه، ويرونه، ويتغنون بإنجازاته.. أنا ربهم الأعلى.. هل تفهم؟

وأيقن وقتها (رادا) أن الواقف أمامه قد فقد صوابه.

* * *

بدأ مشروع (سافوي) الكافر على قدم وساق..

في كل القارات، تم بناء تماثيل عظيمة له تطل على السواحل، تمثله وهو يقف في عظمه وخيلاء، بيده سلاح قاتل.. كان يراه رمزًا لقوته، على حين كان – لقومه - رمزًا لحمايته لهم كما تصوروا هم..

كما تم بناء معابد عظيمة، مزدانة بأحجار ملونة ولامعة..

وتم إرسال الهدايا من كل مكان..

ووسط كل هذا، وأثناء سكرة (سافوي) ونشوته بعبادة القوم له، غاب عنه وعن قومه أمران في غاية الخطورة..

الأمر الأول أن (الدن) لم يفنوا أو يستكينوا، بل أنهم قد استعدوا، وأوشك هجومهم على أن يعيد الحرب من جديد..

والأمر الثاني – وقد شاركه جهله فيه قوم (الدن) – أن هناك مخلوقات أخرى لم يحيطوا بها علمًا من قبل، ضاقت بما يجري في الأرض..

بل وأوشكت على أن تعلن عن نفسها بكل شراسة ووحشية..

مخلوقات تدعى (الجن).

* * *

ذات ليلة صاخبة كالعادة، هجع قوم (الخن) إلى بيوتهم، واستسلموا لنوم عميق، وضوء النهار يشق كبد السماء رويدًا رويدًا..

وحتى الحراس الذين يسهرون على الأمن، كانوا في سكرتهم من السهر والاطمئنان، فاستسلموا تباعًا لتهالك أجفانهم، ولجأوا لقليل من الراحة..

وتحت ستار الليل، تسلل (الدن) كل في موقعه، وبأيديهم

أسلحتهم، فانقضوا على الحراس فقتلوهم..

ثم تسللوا للقرى الناعسة، فهجموا على البيوت وانقضوا على النائمين..

ووسط الصرخات والعويل، ارتفعت أصوات محاربي (الخن) تنبه الغافلين، فهبوا للقاء الدن..

كانت المعمورة كلها تقاتل في ذات الوقت..

وكانت سوائل الأجساد من (الدن) والدماء من (الخن) تسيل أنهارًا، لتمتزج في مشهد مقزز، وغريب..

وبعد ساعات من القتال والإنهاك الذي طال الجميع، لم يبد أن أحدًا من الطرفين قادر على الانتصار..

وكان كل زعيم لنفر يصدر الأوامر فيطيعه رجاله بآلية، دونما قدرة حقيقية..

وكان التوتر يملأ نفس (فيدان)، والغضب يصرع (سافوي)..

ووسط الحيرة، والارتباك، والفوضى.. وضعف الثقة بالنصر.. والحيرة في اتخاذ القرار المناسب.. بدا كما لو أن السماء قد أظلمت فجأة..

فالأراضي التي كانت الشمس مشرقة فيها، غابت عنها في غير وقتها!!..

والأراضي التي كان القمر يظهر بدرًا مكتملاً فيها، لم يعد بإمكان أهلها أن يروا حتى نجمة واحدة..

وبدا كما لو أن مياه البحار والأنهار تفيض، ثم خيل للناظرين أنها ترتفع وتتناثر..

حتى الأرض، بدت كما لو أنها تلد ما يخرج منها..

وكان الواقف يشعر بضربة قوية - لا يرى لها من ضارب - تسقطه أرضًا على ضخامته وقوته، فيدك عنقه قبل أن يفهم..

لقد كانت هجمة (الجن)..

هجموا على الجميع، دونما تفريق بينهم..

كان يتم القضاء على (الدن) و(الخن) معًا..

فلقد مل وغضب (الجن) مما يسري على الأرض من فساد وكفر وقتل واستعلاء*..

وللجن صفات، منها أنهم مستترون لا يمكن رؤيتهم.. ومنهم الغواص ومنهم الطائر ومنهم ما دون ذلك** .. فلما هجموا كان الهجوم من كل مكان..

ومن دون رؤية..

---

* ذكرنا من قبل أن بعض الباحثين والعلماء يرى أن الجن قد هجموا على المخلوقات الأولى بأمر من الله عز وجل عقابًا لفسادهم

** الصفات حقيقية كما وردت في الأثر

وكانت لهم الغلبة..

لقد دحروا (الخن) و(الدن) معًا فلم يتركوا منهم أحدًا، إلا نفر قليل منهم استطاعوا أن يفعلوا مثل سابقيهم، أن يهربوا ويختبئوا في بعض المغائر والمخابئ، ولم يبق منهم على سطح الأرض سوى جثثهم النافقة..

أما (الجن) فقد انتهت معركتهم، ولم يبق سواهم على وجه الأرض يتحرك.

* * *

ومرت سنوات طوال..

وكما هي عادة كل المخلوقات التي لها عقل وعليها تكليف، بدأ الفساد يظهر رويدًا رويدًا بين (الجن)..

وأدى الفساد للاعتراك..

وأدت القوة للكفر..

وهنا أنزل المولى عز وجل الملائكة، فأهلكوا (الجن) بدورهم، إلا من فر منهم مثل سابقيه واختبأ في الجحور..

وعند صعود الملائكة للسماء، سمعوا صوت طفل من الجان يبكي..

واحتاروا في أمره كما ورد في صفحات سابقة.. هو طفل لم

يجرم شيئًا، فكيف يقتلونه؟

ولما بلغت حيرتهم عظمها، أخذوه معهم للسماء.**

* * *

** التفاصيل المذكورة فيما بعد بدءًا من صفحة 92

رِسَالَة

عَثَرَت عليها إحدى البعثات العلمية *

* الرسالة من خيال المؤلف، وليس لها أصل

المحروسة في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة لسنة سبع، وألف ومائتين الهجرية،
الموافق الخامس من فبراير ، لسنة ثلاثة وتسعون، وألف وسبعمائة الميلادية

يديّ ترتعدان فَرَقًا ورُعبًا وأنا أخط هذه السطور..

أحاهد كي أرتب أفكاري وأوضحها كي تصل لمن سيقرأ، علّه يفهم.. ويعي..

أنا اقتربت كثيرًا من النار يا ساده، فاحترقت..

نار المعرفة التي لم ينبغي لي أن أُحَط بها علمًا..

لكني تمردت..

تمردتُ على ذاتي وعلى دنياي وعلى كل المحظورات.. بل تمردت على ديني نفسه، وليغفر لي اللّٰه تعالى ما اقترفت!..

هذا الكتاب اللعين – الذي أُرفق به رسالتي تلك – هو "كتاب أسرار الموتى".. ذاك الكتاب الملعون، المكتوب منذ سنين عديدة لا يعلمها إلا اللّٰه، ونسخه (الحظرد) - لعنة اللّٰه عليه - ليدور الزمان، ويقع الكتاب بين يديّ أنا دونًا عن كل الناس..

أنا الذي أينَعَت بذرة الشر بداخلي.. والطمع، والجهل،

والجحود.. فأقبَلتُ على ما فيه بِنهمٍ، صبَّ عليّ وبال من العذاب..

لكن أوان الندم قد فات، فاحذر يا من تقرأ..

هذا الكتاب – إن وقع بين يديك – لن يجلب لك العِلم أو الغِنى ولا الصحة أو السعادة.. بل سيجلب لك أسوأ الشرور طرًا، وستلقى ربك وأنت كافر!..

تريد أن تعرف بأمر الكتاب؟..

إذن لا فائدة من كل تحذيراتي!..

الفضول قتل القط، ونهمك يا سيدي يعني أنك ستفتح هذا الكتاب..

وستقرأه..

وأكيد ستعمل بما فيه، فتلقى جزاءك العادل..

على كلٍ سأقوم بواجبي كاملاً، وسأخبرك..

هذا – كما قلتُ –كتاب الموتى المسمى بـ (العزيف)* .. وهو – كما ترى - يقع في سبعة أجزاء، وعدد صفحاته تسعمائة صفحة

* الاسم يعني عند العرب "الأصوات التي تصدر ليلاً من الحشرات والجن"

بالتمام والكمال.. ورقه العجيب وملمسه الغريب بين يديك، يعود إلى أنه مكتوب على جلود الأموات..

لا يقشعر بدنك الآن، فالهول لا زال بعيدًا!

نسخه شاعر عربي من صنعاء، اسمه (عبد اللّٰه الحظرد).. كان يُعرف بلقب "الشاعر المجنون".. مات – كما عرفت – ميتة شنيعة، روى عنها المؤرخ المُسلم (ابن خلكان) * من أنه كان يتصارع مع وحش رهيب، وقد تم تمزيقه في وضح النهار أمام عيون الناظرين، وهذا ما أكده أحد الشهود الذين رأوا الحادثة!..

لقد استجلبه (الحظرد) فكانت نهايته على يده..

---

* أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، ويكنى "أبو العباس".. وقد روى بالفعل عن الحظرد.
هو مؤرخ وقاض وأديب من أعلام (دمشق)، وهو صاحب كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" وهو أشهر كتب التراجم العربية، ومن أحسنها ضبطا وإحكاما.
ولد في (إربيل) سنة 608 هـ/1211 م، وعاش واستقر ومات في (دمشق)، ونبغ في الأحكام والفقه وأصول الدين وعلومه فولاه الملك الظاهر قضاء الشام، وعُزل بعد عشر سنين. توفي ودفن في سفح جبل "قاسيون" سنة 681 هـ/1282 م.
وقد قال ابن كثير عنه في (البداية) 588/17: أحد الأئمة الفضلاء بدمشق والسادة العلماء وهو أول من جدد في أيامه قضاء القضاة من سائر المذاهب.
وقال الحافظ الذهبي: كان إماما فاضلا متقنا، عارفا بالمذهب، حسن الفتاوى، جيد القريحة، بصيرا بالعربية، علامة في الأدب وأيام الناس، كثير الإطلاع.
وقال ابن العماد في "شذرات الذهب" 648/7: ومن محاسنه أنه كان لا يجسر أحد أن يُذكر أحدا عنده بغيبة.

أتكلم عن جِنّيّ؟..

شيطان؟..

مخلوق غريب؟..

لا أدري..

ستفهم قصدي حين تعرف أن الكتاب يدور حول الكيانات القديمة.. تلك التي لم نعرفها وربما لم نسمع بها.. تاريخهم، وكيفية الاتصال معهم، واستحضارهم..

المشكلة كلها كيفية حصولك على القدرة..

فلكي يتم هذا، أنت – يا سيدي – يجب أن تستخرج علم المونى!..

لا شأن للأمر بالروح، فالروح من أمر اللّٰه وحده..

نعم.. هو ضرب من ضروب السحر، لكنه سحر أسود.. كما لو أن مصيبة السحر وحدها لا تكفي، فيصير أسودًا كذلك!..

ولقد علمت أنه تمت ترجمة الكتاب إلى الإغريقية بواسطة من يدعى (ثيودور فيلاناس **Theodorus Philetas**) ليحمل الكتاب اسم "نيكرونوميكون" من وقتها.

تسأل عن معناه؟.. اللفظ يعود إلى اللغة الإغريقية ويعنى "صورة عن قانون الموتى".. إلا أنه- وعند تقسيم الكلمة Necronomicon إلى عدة أقسام وإرجاع الكلمات إلى جذورها - يأخذ اسم الكتاب أكثر من شكل مثل: كتاب الموتى - كتاب أسماء الموتى - كتاب قوانين الموتى - كتاب دراسة الموتى أو تصنيف الموتى.. ولقد..

اللعنة..

أنا أشعر بهم يجاهدون لاختراق البوابة، وأعلم يقينًا أنهم سينجحون.. إن هي إلا مسألة وقت، وهم يملكونه.. يملكون كل ما يشاءون منه!..

سأكمل لك على عجالة إذن.. لقد تم إحراق النسخة المترجمة -بعد محاولات من قِبل البعض لعمل أشياء مريعة- بواسطة البطريك "مايكل الأول Michael Cerularius " * في عام **1050** م.. بعدها تمت ترجمة الكتاب من الإغريقية للاتينية بواسطة (أولاس

---

* ولد مايكل سيرولريوس في القسطنطينية حوالي 1000 م، تنصيبه في الكنيسة تم منذ صغره. اشتهر بالخلافات الدائمة مع أقرانه والكنيسة والبابا (ليو التاسع Leo IX) وبالفعل أمر باحراق الكتاب المذكور.

أورمياس olas ormas).. يبدو أن خبر الكتاب قد وصله أثناء عمله بمحاكم التفتيش للمور – الذين هم سكان (أسبانيا) ذوو الأصول العربية - إلا أن البابا "حرحوري التاسع" ** منع الكتاب، وأمر بإحراقه في العام 1232 م.

لكن النسخة اللاتينية ظهرت مجددا في (براغ) مع من يدعى (بالحاخام الأسود) وهو ساحر القبالة وخبير النكرومانسي "يعقوب إليتزر" **** ، وظهرت النسخة الإغريقية في القرن 16 في (إيطاليا)، ونسخة أخرى بالقرن 17 في (أسبانيا)..

تسأل عن النسخة العربية؟!.. اختفت تماما من الوجود.. ربما تكون أنت من المهتمين بمعرفة الغيب والمستقبل، عندها أنصحك ألا تفتح الكتاب، فلا علاقة له بالغد..

الكتاب يبحث في الماضي، ويتحدث– أي سيدي - عن

** ولد في 1145م - توفي في 22 أغسطس 1241م - اسمه الحقيقي اوجلينو دي كونتي، تقلد الباباوية في 19 مارس 1227م وحتى وفاته. بعد ترقيته إلى كرسي البابوية في ختام الانتخابات البابوية عام 1227م، قام كونراد فون ماربورغ بتكليف غريغوري التاسع بالقضاء على الهرطقة في كل أنحاء ألمانيا. حصل خلاف كبير بين البابا والإمبراطور انتهى بالصلح الشهير «سان جرمانو» (1230م).. وبالفعل أمر بإحراق الكتاب.

**** يلقب أيضًا بـ (يعقوب اليعازر) وقد هرب من ايطاليا إلى براغ بعد اتهامه بتحضير الأرواح.

الحضارات والكيانات القديمة، حيث تم تفصيل العديد من الأحداث التي تم التلميح لها في كتاب "إينوخ"* وبعض الأساطير القديمة.

هناك أجناس أخرى سكنت الأرض قبل الإنسان.. أجناس نعيش الآن خارج هذه الأرض، ووراء هذا العالم.

اتصل (الحظرد) بالكيانات القديمة عن طريق السحر، وحذر في وصيته من أنهم قادمون..

قادمون لاسترجاع الأرض من البشر!

أنا عرفت كذلك.. وفهمت.. وارتعت!..

الكيانات القديمة تعيش في ما وراء هذا العالم، وتريد الاتصال بالأرض بأي طريقة ممكنة، للوصول إليها والسيطرة عليها. وقد

---

* كتاب من الكتب الرهيبة في عالم السحر والشعوذة، ويعتبر أهم الكتب التي تحكي عن أخبار الجن، ألفه احد السحرة اليهود القدماء، وقد كتب باللغة الآرامية القديمة وقام بترجمته للإنجليزية فيما بعد الساحر البريطاني دانيال دي (Danial De)، وقد تحدث الكتاب في مجلده (نيكرونوميكون) عن السلالات القديمة التي كانت تعيش في الأرض، حيث ذكر الكيانات القديمة وهي كيانات اكبر من البشر وتشبههم. وادعى (دي) أنه استطاع فك شفرة هذا الكتاب، فالتقى هذه الكيانات القديمة وتحاور معها من خلال الطلاسم السحرية الموجودة فيه.
وقد تم إخراج مجموعة من الأفلام التي تحكي قصة هذا الكتاب من أبرزها سلسلة أفلام "موت الشيطان" (Evil Died) التي تحكي قصص أشخاص يضلون طريقهم في الغابات وتجد هذا الكتاب فيقومون بقراءته فيبعث من جديد الأجناس غير البشرية المتوحشة ، وتشكل هذه الأفلام شرحًا مجسدًا لقصة الكتاب.

استطاعوا أن يتقمصوا شكل الإنسان وأن يعيشوا بين بنى البشر وأن يتزوجوا منهم، ليكاثروا نسلهم على هذه الأرض.

هل تذكر فيضان (نوح) عليه السلام؟ * .. الفيضان الذى حدث، ما هو إلا لتطهير الأرض..

وكان أولئك من ضمن نَجَس الأرض.

نصيحة أخيرة، لو قرأت هذا الكتاب، إياك والغباء..

لا تذهب إليها..

لا تفتح البوابة..

لو فتحتها ستجلب الدمار كما فعلت أنا، وتهلك بأبشع وسيلة، كما سأهلك أنا..

---

* ما ورد في الرسالة من معلومات وأسماء هو حقيقي. لكن بالطبع لا يوجد ذكر لقوم غير البشر - والكائنات التي نعرفها من طير وحيوانات وخلافه - كانوا في الفلك المشحون (السفينة). هذا و"طوفان نوح" هو تسمية تطلق على قصة دينية وتاريخية لطوفان عظيم حصل بسبب طغيان البشر على الأرض، ورغم اختلاف القصة في مختلف الديانات والمعتقدات والحضارات إلا أن جميعها تتفق على حدوثه ونجاة من على سفينة أبحرت فوقه، أوحى الخالق عز وجل لنبيه نوح عليه السلام أن يبنيها.
وجهة نظر المؤرخين أنه قد حصل طوفان قبل حوالي 5000 قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام، في منطقة وادي الرافدين الذي يُعتقد أنه طوفان نوح.
قصة الطوفان مذكورة بوضوح وتورية في القرآن الكريم. السور: (نوح) – (الشعراء) – (الأعراف) – (المؤمنون).

للأسف ليس بمقدوري أن أتخلص من هذا الكتاب الملعون، لكنت أرحت واسترحت..

ولكني أستطيع أن أخفيه.. نعم، أخفيه عميقًا ودائمًا، كيلا يجده بعدي أحدًا..

ولو وجدته أنت، فاقرأ هذه الرسالة أولاً.. ولتقرأها بجدية واهتمام، ولتُصَدِّق ما فيها..

أرجوك يا من تقرأ، صَدِّق..

صدق أو ستلقى العذاب صنوف وألوان، قبل أن تهلك.

يا إلهي الرحيم.. لقد دخلوا.. إنهم هنا.. سأخفي الكتاب، وألقى مصيري.. فليغفر لي الخالق عز وجل.. ليغفر لي الله.

كتبه على عجالة، راجي عفو ربه الخلاّق:

منصور بن حسن الشراكسي

الفصل الثاني

اعتبر - يا أيها المغـــرورُ بالعمرِ المديـدِ - فأنـا (شـدَّادُ بنُ عـادٍ) صـاحبُ الحـصنِ المـشيدِ، والـذي ملكـتُ الـشرقَ والغَـربَ بسـلطانٍ شديدِ، فأتى (هـــودٌ) وكُنَّـــا في ضـلالٍ قبلَه، فدعـانا.. لـو قَبِلنـــا كـانَ بالأمـــرِ الرشـــيدِ، لكِنَّا عصينـاهُ.. نادى: "مـا لكـم؟ هـل مـن محيـدِ؟".. فـأتتـــنا صيـــحةٌ تهـــوي مـن الأفـقِ البعيـدِ، فتـوافَـيْنَـــا كـزرعٍ وَسْـطَ بيـــداءٍ حصيـدِ.

ما كتبه المؤمن بربه (مرتد) على قبر أبيه

(1)

القافلة

اسمه (عبد الله ظهر الدين)..

هو يلهث..

موشك على الجنون، من هول ما رأى!..

يركض بكل ما أوتي من قوة، يبغي فرارًا من ذاك الجحيم الذي عاش فيه سنينًا عدة!..

لكن الرمال تمتد أمامه على مرمى البصر - بلا نهاية تُدرَك - فلا يدري إلى أين يذهب، ولا متى يصل؟!..

(الرغامىَ) – أو كما نعرفها باسم "الشعب الهوائية" - في صدره تصطرع مع بعضها البعض، ومع الهواء الذي يعبه الأنف عَبًّا.. محاولةً استيعاب هذا الجهد المفرط مع ضخّ الأكسجين لخلايا الجسد المنهك، الذي بلغ سِنّهُ الخمسون وسبع.

ألا لعنة الله على تلك الرحلة السوداء!..

ما الذي ألقى به هاهنا؟..

أي طموح لعين - بل أي فكرة مجنونة - دفعته أن يُلقي بذاته بين براثن الهلاك العاتي؟..

أحد عشرة سَنة مرت منذ ترك أهله وخرج يسعى..

أحد عشرة سَنة حين سمع وقرأ وبحث عن آلهة وثنية وممالك غنية وآثار باهرة..

أحد عشرة سَنة مرّت بعد أن كفر بربه، وترك دينه..

منذ سار على خطى السحرة والمشعوذين وأبناء الضلال..

واتبع الشيطان..

رأي ما لم يره بشر من قبل..

جاء إلى هذي الأرض، وظل يبحث حتى وجد ضالته..

حقًا لن ينسى مرأى العماد التي تكاد تطال السحاب..

وصحيح أنه لن ينسى تلك الكنوز..

أنعام وبنين، وجنات وعيون، ومصانع لجمع المياه، وقصور فخمة شامخة..

أناس بنوا على الروابي والمرتفعات مبان شامخة ليس لهم فيها مصلحة تُقصد إلاَّ أن تكون آيةً يتباهون بها، تُظهر قوتهم وبأسهم في الأرض!

لن ينساهم..

أهل البطش الذين إذا بطشوا بطشوا جبارين..

أصحاب الآلهةٍ من الأوثان، يعبدونها من دون الله!.

خبرهم.. صادقهم وعاشرهم.. عرفهم، وليته ما فعل.. اقترب منهم فاحترق بنار المعرفة، وبعد أن قبلوه بينهم صار عدوًا لهم، يسعون لهلاكه، فيفر منهم إلى قيظ الصحراء..

وليته يهلك.

اسمه (عبد الله ظهر الدين)..

يحيا في عهد الدولة الأموية*، ويدعوه أهل بلدته بالمجنون.. لم يصدقوه - هو الذي كفر- حين أخبرهم بأمر الكيانات القديمة.. تلك التي تعيش في خفاء هذا العالم..

يلمح عن بُعد خيالات فلا يدري، هل يهرب إليها أم منها؟..

أهي قافلة تمر، أم جمع منهم يطارده؟.. لكن لو كانوا

---

* الدولة الأموية.. أو الخِلافة الأمَوِيّة (41 - 132 هـ / 662 - 750 م) هي ثاني خلافة وأكبر دولة في تاريخ الإسلام. كان بنو أمية أول الأسر المسلمة الحاكمة، إذ حكموا من سنة 41 هـ (662 م) إلى 132 هـ (750 م)، وكانت عاصمة الدولة دمشق. بلغت ذروة اتساعها في عهد الخليفة العاشر هشام بن عبد الملك، إذ امتدت حدودها من أطراف الصين شرقاً حتى جنوب فرنسا غرباً، وتمكنت من فتح إفريقية والمغرب والأندلس وجنوب الغال والسند وما وراء النهر.
يَرجع الأمويون في نسبهم إلى أميّة بن عبد شمس من قبيلة قريش. وكان لهم دورٌ هام في عهد الجاهلية وخلال العهد الإسلامي. أسلم معاوية بن أبي سفيان في عهد الرسول محمد (ص)، وتأسست الدولة الأموية على يده، بعد نزاع بينه وبين (علي بن أبي طالب) بعد فتنة مقتل (عثمان بن عفان)، حتى تنازل (الحسن) ابن (علي) – رضوان الله عليهم أجمعين- عن الخلافة لـ (معاوية) بعد مقتل أبيه، فتأسست الدولة بذلك.

يطاردونه لأتوا من خلفه، لا أمامه!.. أم تراه في تيهه هذا قد ضل استقامته، فما عاد يعرف أمامه مِن خلفه؟..

ثم إنهم قادرين على الكثير، فهل يعجزون عن مقابلته من قُبُلٍ بدلاً من دُبر؟..

ليكونوا ما يكونوا، لقد ضاق بتعبه وآن الأوان كي يرتاح..

يسرع نحو الخيالات، فتتضح.. أو هي تخبو، مع تلك السحابة الغائمة التي تكتنف عينيه من فرط الإرهاق، وذاك الملح الحارق الذائب في العرق المنساب من جبهته..

تتضح.. تخبو.. تتماهى.. تخبو.. تخبو..

تخبـ...

* * *

اسمه (عبد الله ظهر الدين)..

ولِدَ سنة واحد وثمانين وستمائة ميلادية، وفي سِن الحادية عشر شغلته الدنيا إلى حد كبير، وأدمن حضور مجالس الشعراء، وتعلم على أيديهم، حتى نظم الشعر في سن الخامسة عشر، وامتاز بحسن الكلام وسعة الخيال..

سرعان ما صادق الرعاع والفاشلين وأرباب السوء، وأهله لا يملكون إلا أن يتحسرون على مآل ابنهم، ولا يستطيعون له

صدودًا..

عاقر الخمر، وعرف النساء، وامتنع عن المساجد، واستهان بالحدود الربانية..

كان فاشلاً في الدرس مثيرًا للسُخط، فنقله أبوه للتجارة، إلا أنه أفلس وأدان أبيه، فطرده الأخير وهو بعد في الثالثة والعشرين، ليتنقل بين المهن والصنائع، لا يمكث في إحداها يومًا، ولا يدوم أكثر من شهرين..

كان يذهب للعمل متأخرًا متثاقلاً، وما إن ينتهي اليوم ويحصل على أجرته اليومية، حتى يهرع للقاء الذين لا يقلون عنه كراهة...

يسهرون في مجونهم حتى الصباح، فيلقي عليهم الشعر الذي ينظمه حتى ينتهي سهرهم حين يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، فينهضون سُكارى من أثر الخمر ونشوة النساء، لتلقاهم لعنة الصالحين -وهم في طريقهم للمساجد- تنهال على رؤوسهم المترنحة وهم يجاهدون كي يجدوا الطُرق لبيوتهم فجرًا.

* * *

هزل جسده من ضعف الحال وسوء استغلال الصحة.. يجد نفسه اليوم وحيدًا بلا سُمّار ولا خِلّان، وقد بلغ الحادية والثلاثين

من العمر، فقد انفض من حوله أصدقاء الماضي، وتدلّلت عليه الخمر وتمنعت - كما الغواني اللائي عرفهن- حين فقد مصادر الدخل، ورفض التجار والصناع استخدامه، وصار لا يغادر القبر المسمى بالغرفة - التي هدده مالكها مرارًا بطرده منها إن لم يدفع ما عليه من دنانير متأخرة عديدة - ولا يجد أمامه حلاً سوى أن يخرج من البلدة..

الأرض واسعة وسيجد فيها مرامه ومغانم كثيرة.. ولتذهب تلك البلدة وأهلها إلى الجحيم.. اتخذ قراره، وفي سوداء الليل البهيم، حمل صُرة صغيرة - تحوى أقمشة مهللة قليلة يستر بها جسده بتبديلها، تارة يغسلها وتارة يلبسها - وخرج يسير مغادرًا.. إلى ظهره ربط الصرة، وعلى كتفه علق قربة ماء كبيرة وشد على خصره رباط به لقيمات الخبز الجاف..

لا يدري إلى أين سيذهب، فقط سيظل يمشي حتى يجد مكانًا آخر، وعملاً آخر، وأناسًا آخرون.

* * *

اسمه (عبد الله ظهر الدين)..

ولم تكن رحلته هينة أبدًا.. إنها الصحراء لا ترحم ولا تهادن..

الطريق طويل وشاق، والزاد قليل..

الشمس حارقة، والرمال ملتهبة، والهواء ساخن..

والليل بارد..

بارد..

أيامًا طويلة سار وسار، وشرب وشرب، حتى نفذ ماءه!.. دعك من الطعام، فالزاد قليل من الأصل فنفذ سريعًا.. وبعد ثلاثة عشر يومًا بالضبط، سقط.. لم يعد بوسعه - وهو الذي قضى حياته باستهتار يعاقر الخمر الردئ في أحضان البغايا الرخيصات - أن يحتمل ما يحتمله الرجال الأشداء..

أولاً زاغ البصر، ثم احترقت الأعين بوهج الشمس، ولم تجد البشرة ندى عرق يرطبها بعد أن كاد الماء يجف في الجسد المتهالك.. ثم دارت الأرض به - أو هو الذي دار حول نفسه - وهو يقع أرضًا، وشعر الجسد للحظة بسخونة الرمال، قبل أن يفقد الإحساس، وصاحبه يغوص في غيبوبته السوداء.

ومن بعيد أسرعت الكواسر الجوارح تتوافد إلى تلك البقعة، ممنية نفسها بطعام شهي من الجسد بعد أن يموت، وقد قضت أيامًا بجوعها، إلا من بعض "اليرابيع"* النافقة.. ولقد أنقذته تلك

---

* جمع اليربوع، وأحيانا يسمى الجربوع.. ثديي، يشكل الجزء الأكبر من فصيلته، وجزء من فصيلة القوارض.. صحراوي وثاب نظرًا لامتلاكه أرجل طويلة، وبعض الأنواع لها آذان طويلة كالأرانب والبعض الآخر آذانها قصيرة كالفئران.. وجد في شمال أفريقيا وبعض آسيا. يفضل العيش في الصحاري الحارة.. عند تعرضه للخطر يستطيع الركض بسرعة 24 كيلومتر في الساعة. يتمتع بحاسة سمع عالية. دورة حياة اليربوع النموذجية تصل إلى 6 سنوات.

الطيور عن دون قصد، حين رآها عن بُعد أهل تلك الواحة الصغيرة القريبة من حيث سقط هو.

أسرع أحد الأطفال اللاهين يصيح بأبيه أن انظر، فرأى الرجل المشهد وأدرك أن أحدهم قد سقط في براثن الصحراء التي لا ترحم، فأسرع يمتطي جواده مناديًا شقيقه.. وكَدّا في الركض ومعهما فرس ثالث لا يمتطيه أحد، حتى إذا بلغا المكان أسرعا نحو الجسد المسجي، فأجفل الطير وحلق بعيدًا، وأسرع أحدهما يبلل شفتي الرجل الساقط أرضًا بقطرات الماء*، ثم حملاه حملاً إلى صهوة الحصان الثالث، وبمهارة فطرية اعتليا صهوة جواديهما، وعادوا إلى الواحة، وقد حَوّمت الطير بغضب إذ فقدت غَذاءها.

مكث (عبد الله) في الواحة ثلاثة، طَعِم فيها كما لم يطعم من قبل وشرب حتى ارتوى، فعادت له صحته.. وأكرمه أهل الواحة بأن وهبوه حصانًا يعينه على الرحلة، وأمدوه بالماء والطعام..

وعاد يستكمل رحلته إلى حيث لا يعلم..

كان سعيدًا أن نجىَ من الهلاك، ولا شك أن شعور القوة في

---

* من قضى فترة من الوقت في الشمس دون أن يشرب، لا يتم سقيه الماء بكثرة فجأة، حتى لا تتأذى المعدة أو تحدث صدمة للجسد.. الصواب أن يتم بلّ الشفاه بالماء أولاً، ثم إسقاط بعض القطرات داخل الفم، ومقاومة العطشان إذا رغب في الشرب بكثرة، حتى يفيق ويستوي جالسًا ويشرب بعد ذلك على جرعات.

جسده، أعانه كثيراً..

لكنه كان من الحرص على زاده بحيث أنـه لم يـسقي الفـرس إلا قَطـرات، ولم يطعمـه إلا فُتـات، فـسرعان مـا هلـك ليتركـه في الصحراء للكواسر، مجدًا السير على قدميه وهو يجر ما معه مـن طعام وماء، لا يقوي على حمله.

* * *

(2)
يوكتان

وصل أخيرًا إلى بلدة عامرة..

لمح أولاً عن بُعد تلك الأسوار التي تباعدت عليها أبراج ورايات تسمح لمن فيها بالمراقبة، وتسمح لمن ضل طريقه برؤيتها، وعلى الفور زادت سرعة مشيه حتى وصل إلى الأبواب، فاستقبله حارس عليها سأله عن مبتغاه، فأجابه:

- إنما أنا رجل ضاق بي الحال، فجئت أرضكم طامعًا في الجود والكرم.. ابغي العمل والسكن، وإني لَحَسن الجوار.

أرسل الرجل معه غلامًا يلعب إلى قائد العسس* الذي استقبله وسمع منه ثم أرسله إلى الشاه بندر** الذي بدوره أرسله إلى من يدعى (يوكتان) وهو تاجر يهودي من (اليونان) - ذو

---

* جمع عاس، وهو أشبه بخفير الدرك في الأرياف. يَطوفُونَ بِاللَّيْلِ يَحْرُسُونَ البُيُوتَ وَيَكْشِفُونَ عَنْ أَهْلِ الرِّيبَةِ وَاللُّصُوص.

** شَاهُ بَنْدَر: أي كبير التجار. مركب من "شاه: الملك"، و"بندر: الميناء". ويلفظ كذلك: شاهبندر. وهو كلمة تركية ذات أصل فارسي وقد تطور المعنى في العصر العثماني، فأطلق على: جابي الضرائب، مدير الميناء، القنصل في الدول العثمانية.

شأن وتجارة كبيرين - جاء واستقر في المدينة منذ سنين.

ومن اللمحة الأولى، أدرك اليهودي بحصافته أن (عبد الله) أفضل من يصلح فيما يصبو إليه.. فتلك النظرة العابثة في العين لا يخطئها أبدًا، وذاك الذي يسعى وراء أي شيء من أجل تغيير حاله، لهو الأولى بأن يتعلم.

وعلى الفور ألحقه بالعمل، وأولاه مهام تنظيف المحل الرئيسي والأكبر من محلاته... فذاك الذي يستقر هو نفسه فيه، والذي يخفي فيه مشروع حياته..

ويا له من مشروع.

* * *

- يا (آبدولا).. أين أنت؟

ارتفعت صيحة التاجر اليهودي (يوكتان) في المحل ذات صباح باكر، قبل أن يصل حتى أيّ من العاملين بوقت كبير.

كان قد أعطى (عبد الله) غرفة خزين صغيرة ملحقة بالمحل، على أن يخصم أجرتها – بالطبع – من راتبه كل أسبوع، ليقيم فيها الأخير فيضمن اليهودي انضباط المواعيد، وقلة الأجر..

وكانت بالتأكيد فرصة ممتازة لـ (عبد الله) أن يجد العمل والسكن معًا، خاصة وأن الغرفة – على صغر مساحتها- تكفيه وحده.

باختصار كانت الصفقة رابحة لكلا الطرفين.

ولقد مرت شهور ثلاث على (عبد الله) بعد أن استقر به المقام، وارتاح للعمل في المحل الكبير، خاصة وأنه ليس عملاً مرهقًا.. فقط يصحو قبل بدء العمل ليكنس المكان ويلمعه ويرتب البضائع التي قد تكون تناثرت في المساء السابق، حتى يأتي الباعة الثلاثة المهرة الذين هم قادرين على أن يبيعوا أرداً البضائع كأنها أفضل الكنوز، وهم بالفعل كما يقول المثل العربي (يسرقون الكُحل من على العينين) أحدهم يهودي من أبناء عمومة (يوكتان) والآخرين من أصول مختلطة، استقرا في الأرض منذ زمن بعيد..

يأتون فيطلبون من (عبد الله) أن يشتري لهم الطعام للإفطار، ثم يشربون القهوة، قبل أن يصل (يوكتان) فيجد كل شيء على أهبة الاستعداد، ومن بَعد يتوافد أهل المدينة من الزبائن ومن خارجها التجار، فالكل يعلم مدى جودة البضائع لدى (يوكتان) وإمكانية توافر كل الأنواع التي تناسب المقدرة الاقتصادية للجميع..

" إن كنت تريد الغالي، فلا بد أن تدفع ما يوازيه.."

الطريف في الأمر أن هذا اليهودي الأرب يتاجر في كل شيء!.. الأقمشة والعطور والطنافس والتحف والذهب..

" إن كنت تريد الغالي، فلا بد أن تدفع ما يوازيه.. وإن كنت تريد الرخيص، فلن يفرقه أحد عن الغالي.."

معه حق.. فالبضاعة هي هي يبيعها النصّاب بأكثر من سعر.. فقط اختلاف لون القماش، أو مقاسه.. هذا إن كنت من الراغبين في الأقمشة.. أما العطور، فحدث ولا حرج.. الرائحة الطيبة - التي تختلط فيها العطور الشرقية بالغربية - وحدها تجعل رائحة من يخرج من المكان زكية طيبة..

" إن كنت تريد الغالي، فلا بد أن تدفع ما يوازيه.. وإن كنت تريد الرخيص، فلن يفرقه أحد عن الغالي.. حدد لي ما تريد أن تدفعه وسأوفر لك ما تريد أن تبتاعه.. فقد جاءتني بضائع عجيبة من بلاد مدهشة بجنوب شرق آسيا"

- يا (آبدولا).. أين أنت؟

تكررت صيحة (يوكتان) واخترقت مسامع (عبد الله) الذي ظنها حلمًا بعد أن احتسى ذاك الخمر الرديئ من (خمّارة) المدعو (فاسيلي)، وهو يهودي إيطالي استقر به المقام في المدينة منذ سنين.. مازحه (عبد الله) بقوله:

- فوجئت بأنك أيضًا يهودي يا (فاسيلي).. تُرى كم يهوديًا هنا؟.. هل جعلتم من هذه المدينة أرضًا لكم؟

فيبتسم اليهودي بأريحية وود قائلاً:

- لا يـا (عبدلـه) يـا (خبيبـي)* .. أرضـنا الحبيبـة الموعـودة سنبلغها ذات يوم ولن يُخرجنا منها أحـدًا.. سـتكون وطنًـا لنـا – نحن بني (إسرائيل) ** - يجمعنا بعد الشتات.

ثـم يكمـل عملـه في همـة، فتـسيل الخمـر الملعونـة في كـل البطون، وتُهرق معها أموال السكارى.

- يا (آبدولا).. أين أنت أيها اللعين؟

يتضح لـ (عبد الله) أنه لا يحلم، وأن هذا لـيس تـأثير الخمـر، ويدرك بعد عسر أنه نـائم في غرفتـه تلـك الملحقـة بالمحـل، وأن هذا صوت صاحب المحل يناديه، فيهب من فراشه بسرعة واقفًا، إلا أن الدوار يهاجمه، فيسقط ثانية وقد صارت الرؤيـة ضـبابية، على حين يقتحم (يوكتان) الغرفة بحنق هاتفًا:

- أأنت أصم؟..

ينهض (عبد الله) قائلاً بضعف:

- عفوك أيها السيد.. كنت نائمًا، وحين هممت بتلبيـة نـداءك

---

* رغم أن كلمة (خبيبي) يستهلكها الممثلون في الأعمال الدرامية على سبيل تأكيد دورهم كأجانب (خواجات) إلا أن حرف الحاء بالفعل لا يتواجد على لسان غير العربي، حتى لأود بتسميتها لغة (الحاء) بدلاً من (لغة الضاد).

** بني إسرائيل (بالعبرية: בני ישראל بنيْ يسرائيل) هو مصطلح يطلق على أبناء يعقوب ابن إسحق بن إبراهيم الاثنا عشر، وأيضاً يعرفون باسم "القبائل الإثنا عشر". كلمة إسرائيل باللغة العبرية تعني عبد الله (من مقطعين: إسر أي عبد، وإيل أي الله).

ألمَّ بي دوار فتعثرت.

- أنت مريض إذًا اليوم؟

لوح (عبد الله) بيده نفيًا، وقال بصوت حاول أن يستجمع قوته:

- لا، لا يا سيدي.. أنا بخير حال.

نظر إليه (يوكتان) لحظة، ثم استدار قائلاً:

- اتبعني إذن.

خرج من الغرفة، وملم (عبد الله) أشلاء ثيابه المبعثرة، ودس قدميه النحيلتين في الخف المهترئ، وأسرع وراءه وهو يداري قصاصات الورق التي كتب عليها أشعار الأمس.. لو رآها (يوكتان) لخرب - هذا البخيل - بيته، فهي مجموعة من دفاتر الفواتير والأوراق التي يكتب فيها الأخير.

في الخارج كان (عبد الله) قد استجمع شتات نفسه، فسأل (يوكتان) بدهشة:

- لم جئت مبكرًا هكذا؟!

نظر له (يوكتان) باستنكار، فأسرع الأول يستطرد:

- عُذرًا، هذا مكانك وأنت حر.. لكني أعجب فقط يا سيدي!.

ابتسم (يوكتان) وهو يثبت عينيه على (عبد الله).. عينيه

الخبيثتين كما لو أنهما تنفذان إلى روح الأخير.. تفتشان في أعماقه، وتكشفان أسراره وخباياه..

ثم تكلم..

* * *

(3)

لا؟.. أم نعم!

ألقى (يوكتان) أمامه بكلمات غير مفهومة، فسأله:

- أهذه كلمات عِبْرية؟.. وماذا تعني؟

اتسعت ابتسامة (يوكتان)، وربت على كتف (عبد الله)، مما أثار دهشة الأخير، خاصة و(يوكتان) يدعوه للجلوس..

جلسا في ركن قصيّ من المحل، يقع وراء مجلس (يوكتان) اليومي- حيث منضدته ومحبرته، والأوراق والفواتير..

وفي هدوء قال الأخير:

- قل لي يا (آبدولا).. هل أنت سعيد؟

كان (عبد الله) قد اعتاد هذا النطق - (آبدولا)- من (يوكتان)، واقنع نفسه أنه - بحكم جنسيته غير العربية- قد حرف الاسم - عن غير عمد- ليناسب منطوقه هو، فأجاب مباشرة:

- نعم يا سيدي.. سعيد.. والشكر لك.

لمعت عينا (يوكتان) - مع مقولة (الشكر لك)- وقال:

- لا تجاملني، فالشكر لله يا رجل.

قالها كمن ينتظر رد (عبد الله)، الذي أجابه:

- الشكر لك، فلولاك ما كان لي عمل ولا مأوى.

- أتؤمن بالله يا (آبدولا)؟

صمت (عبد الله) للحظة، وقد دُهش..

"هل أتيت يا هذا في وقت مبكر لتسألني عن إيماني؟"..

استطرد الأول:

- أنا ألاحظ أنك لا تصلي.. ولم أراك تصوم مثلاً، أو تقرأ القرآن*، على عكس المسلمين هنا!.. أنت مسلم، ألست كذلك؟

---

* القرآن الكريم.. كتاب الإسلام، ويحوي كلام الله عز وجل المنزّل على نبيه (محمد) (ﷺ) على لسان الوحي (جبريل) (عليه السلام)على مدى 23 سنة تقريباً، بعد أن بلغ النبي سن الأربعين، وحتى وفاته (ﷺ) عام 11 هـ/ 632 م .. نموذج للبيان والإعجاز.. كان محفوظًا في الصدور والسطور من كل مس أو تحريف، وهو آخر الكتب السماوية بعد صحف (إبراهيم) (عليه السلام) والزبور والتوراة والإنجيل.

تُشتق كلمة 'قرآن' من المصدر 'قرأ'، وأصله من 'القرء' بمعنى الجمع والضم، يُقال: «قرأت الماء في الحوض» أي جمعته فيه.

أول ما نزل منه على النبي (ﷺ) سورة (اقرأ) في (غار حراء) - على (جبل النور) الواقع بالقرب من (مكة).

هو أرقى الكتب قاطبة، كقيمة لغوية ودينية، لما يجمعه من البلاغة والبيان والفصاحة. وله الفضل في توحيد وتطوير اللغة العربية وآدابها وعلومها الصرفية والنحوية، ووضع وتوحيد وتثبيت اللبنات الأساسية لقواعدها.. وحفظها من التلاشي والانقراض، فلم يصبها ما حدث مع العديد من اللغات السامية الأخرى.

ويحتوي على 114 سورة بين مكية ومدنية وفقا لمكان وزمان نزول الوحي بها.

- بلى.

- إذن..؟..

صمت (عبد الله).. طال صمته وهو ينظر فقط للعينين الخبيثتين دون أن يرد.. وبعد برهة، مال عليه (يوكتان) مغمغمًا كمن يلقي سرًا:

- هل تريد المال؟..

- شك...

- لن أعطيه لك.. أسألك: هل تريد المال؟.. الكثير منه؟..

- بالتأكيد.. ومن يَكره؟..

- هل تريد العِلم؟.. هل تريد القوة والصحة والشباب الدائمين؟.. هل تريد...

وقد حُفظ بدقة على يد الصحابة، ويخاطب الأجيال كافة في كل القرون، ويتضمن كل المناسبات ويحيط بكل الأحوال.

بعد وفاة النبي (ﷺ)، جُمع القرآن في مصحف واحد بأمر من الخليفة الأول (أبو بكر الصديق) وفقاً لاقتراح من الصحابي (عمر بن الخطاب). وبعد وفاة الثاني بعد خلافته للأول ظلت تلك النسخة محفوظة لدى أم المؤمنين (حفصة بنت عمر)، إلى أن رأى الخليفة الثالث (عثمان) – عليهم رضوان الله جميعًا - اختلاف المسلمين في القراءات لاختلاف لهجاتهم، فسألها بأن تسمح له باستخدام المصحف الذي بحوزتها والمكتوب بلهجة قريش لتكون اللهجة القياسية، وأمر بنَسخ عدة نُسخ من المصحف لتوحيد قراءته، وأمر بإعدام ما يخالفه وبتوزيع تلك النسخ على الأمصار واحتفظ لنفسه بنسخة منه. وتعرف هذه النسخ إلى الآن بالمصحف العثماني. وبهذا يؤكد العلماء أن النسخ الحالية للقرآن تحتوي على نفس النص المنسوخ من النسخة الأصلية التي جمعها (أبو بكر)، أي التي نزلت على النبي (ﷺ).

وصمت.. صمت طويلاً وهـو يـدقق النظـر لوجـه (عبـد الله) الذي ملأه الفضول.. صمت، قبل أن يتابع:

- هل تريد الخلود؟

حدق (عبد الله) في وجهه بدهشة، ثم قال وقد اعـتراه بعـض الضيق:

- هل تسخر مني يا سيدي؟

نهره (يوكتان) بصوت صارم، قائلاً:

- أجبني يا رجل.

تردد (عبد الله) للحظة ثم قال:

- أريد المال، نعم .. الكثير والكثير منه.. لا يهمني العِلم لكني أهـتم بالتأكيـد بـالخلود.. أو ربمـا لـيس الخلـود، لكـن العمـر الطويل.. العمر سيمتعني بالحيـاة، وسـيريني مـا لا يـراه غـيري.. وسيأتيني بالعلم من غـير تعـب.. سـأرتحل إلى كـل بـلاد الـدنيا، وسأَخُبر كل شيء.. وربما عندما أنال متعها سأموت مرتاح سعيد.. غير نادم على شيء، ولا يعوزني شيء.

تنهد (يوكتان) بسعادة كمن وجد كنزًا، وقال:

- (آبدولا).. لدي كل مـا تريـد وأكـثر.. لكـن الطريـق ليـست هينة.. إذا احتملتها ستصل لمبتغاك وتحل مكاني.. فهل تريد؟

بذهول أجابه (عبد الله):

- مكانك؟.. أنت؟.. بالطبع أريد، لكن..

- أأنت متأكد؟

- متأكد.

- مهما كان الـ..؟...

قاطعه بسرعة وثقة:

- مهما كان الطريق طويلاً أو صعبًا.. نعم.. بل مهما حدث.. فما الذي لدي لأخسره؟.. أنا مستعد أن أهب نفسي للشيطان ذاته.

وكأنما هذا ما ينتظره (يوكتان) لينهض بكل الحماس، ويمسك بيد (عبد الله) - مما أثار توتر الأخير - والأول يقول:

- أريدك أن تخرج الآن.. ابحث عن امرأة تمضي معها الوقت، واشرب حتى الثُمالة، ونمّ كثيرًا ولا تستحم.. ثم تعال فقابلني على حالك.

ودسّ يده في جيبه، لتخرج ببضعة دنانير ذهبية، دار لها رأس (عبد الله) الذي ظن أنه لا زال يحلم في منامه، لولا ملمسها ولولا أن دخل أحد الباعة ففوجئ بوجود (يوكتان)، فأسرع إلى مكانه، على حين اتجه (يوكتان) ليغادر المحل كله دونما كلمة واحدة،

ماضيًا في الطريق حتى غاب عن الأنظار..

هنا فقط رفع البائع عينيه عن الأقمشة التي تشاغل بها، وحوَّلها إلى (عبد الله) قائلاً:

- ما الذي جاء به باكرًا هكذا؟

أجفل (عبد الله) وقد نسى أين هو، وعاد يحدق في الدنانير، ثم ذهب كالمسحور مغادرًا المكان بدوره، والبائع يقلب كفيه بدهشة.

* * *

خرج إلى بيت عاهرات معروف في البلدة، كل من فيه من نساء يتمتعن بجمال خلّاب لم يكن يجرؤ حتى على أن يتخيل نفسه في أحضان إحداهن، وطرق الباب ففتحت له خادمة هي في حسنها كما لو أنها أميرة - "لو أن هذا حال الخادمة، فما حال العاهرة؟" - ووراءها ظهرت القوادة التي بلغت من العمر عقده الخامس وإن لم يُذهِب الزمن حسنها، ومعها ذاك الفتوة الذي كان أسرع زملاءه في تلبية النداء..

ورغم حالة الغضب العاتية التي أصابت المرأة حين طرق بابها وقد خلدت للنوم منذ قليل، إلا أن مرأى الدنانير الذهبية قد أحلّ الترحاب والود محل الطرد والغضب، وانفتح الباب الذي ظل مغلقًا في وجهه من قبل، ليدخل القلعة الممنوعة كما

الأسياد.. وبمنتهى الغطرسة طلب من المرأة أن يرى النساء النائمات، ليختار من تروقه، ولم تفكر المرأة لحظة واحدة في هيئته الرثة، فكل ما ملأ فكرها هو تلك الدنانير الذهبية الكثيرة، وعلى الفور صحبته لتفتح أبواب الغرف على النائمات، وتكشفهن له ليختار، كما لو انه في سوق الفاكهة..

الفاكهة المحرمة، التي طالما اشتهاها..

كان قد شبع من اللون الأسمر، والنساء البدينات والكبيرات في السن.. لذا – وبرغبة محمومة واشتهاء حقيقي- طلب فتاة صغيرة السن - ربما لم تكمل عامها السادس عشر بعد - وأخرى في نهايات العشرينيات، تتمتع كل منهما بقوام بديع وبشرة كالحليب..

ولبّت المرأة رغبته، فقذف لها بالدنانير الذهبية في عجرفة، وهو يطلب مكانًا للانفراد بهما.. وتمت تلبية طلبه، بل وأرسلت له المرأة الديوث كذلك طبقًا من الفاكهة وزجاجة من النبيذ الفاخر!.. أدرك كم هو أحمق، فلا بد أنه قد دفع أكثر من اللازم.. لكنه سرعان ما أبعد التفكير وهو يحدق في الفاتنتين ويغرق معهما في الإثم.

* * *

أخذ يجدّ السير في طريقه للقاء سيده الحبيب، ونظر إلى

السماء مواريًا عينيه بكفه.. الشمس تتوسط كبدها، فلا بد أنه أمضى أكثر من أربع ساعات في ذلك البيت.. صحيح أنه نام أكثرها من تأثير الشراب والمتعة، لكنه لن ينسى هذه الساعات..

لن ينساها أبدًا..

المهم الآن أن يقابل (يوكتان) على حاله كما طلب منه.. (يوكتان) الذي ما إن رآه، حتى هلّ مستبشرًا وقال:

- أحسنت.. لقد كنت أنتظرك.. وها أنا ذا أجد على ملامح وجهك أنك نفذت ما طلبت.. أأنت سعيد؟

بكل الحبور، أجابه:

- منتهى السعادة يا سيدي.. شاكر لك عظيم صنعك.. الآن لو مت فسأموت سعيدًا.

قهقه (يوكتان) وقال بخبث:

- بعدًا للموت عنك يا فتى.. هلم معي.. سنذهب إلى (الخمّارة) عند العجوز اللعين (فاسيلي).

- لكني شربت ما يكفي ويزيد يا سيدي!.

- لن تذهب لتشرب يا رجل.. بل لتبدأ مرحلة جديدة من حياتك.

صمت (عبد الله) ولم يعلق.. لقد ترك نفسه بالكامل لليهودي

الأريب، ليحيا بسعادة على يديه، وسيتبعه ولو إلى الجحيم، وليس فقط إلى (فاسيلي)..

(فاسيلي) الذي استقبله بترحاب غريب، وعند ركن بعيد ممتلئ ببراميل الشراب، وقف وقال بحزم شديد:

- (عبد الله) – نعم، كان ينطق الاسم بشكل سليم هذه المرة – لو أكملت الآن ما جئت من أجله، ولو رأيت ما يفترض أن تراه، فلن يكون هناك عودة.. ولو تراجعت، ستلقى الموت أمامك.. فهل أنت مستعد لتكمل؟

ارتبك (عبد الله) وخافت نفسه، ونظر إلى (يوكتان) كأنما يسأله المشورة، فاستطرد (فاسيلي) بذات الحزم:

- لا شأن لأحد بقرارك الآن.. إما أنك ستكمل أو لا.. فما خيارك؟.. لا أم نعم؟

لحظة صمت..

"هل تريد المال؟.. الكثير منه؟.."

"مرأى الدنانير الذهبية قد أحل الترحاب والود محل الطرد والغضب، وانفتح الباب الذي ظل مغلقًا في وجهه"

تريد المال؟.. مرأى الدنانير الذهبية قد أحل الترحاب والود محل الطرد والغضب.. الكثير منه؟.. انفتح الباب الذي ظل مغلقًا.. المال.. انفتح الباب.. المال.. نعم..

- **نعم**.. سأكمل.

تبادل (فاسيلي) مع (يوكتان) نظرة خاصة حملت الكثير، قبل أن يومئ الأول للأخير برأسه، فيغادر تاركًا (عبد الله) وحده مع الأول، الذي مد يده إلى خلف أحد البراميل وشد مقبض خفي، فانزاح جزء من الجدار، دلف إليه أمام عيني (عبد الله) المشدوهتين، وأشار له أن يتبعه، ففعل..

كانت غرفة ضيقة مساحتها لا تزيد عن ست أقدام مربعة، تحتوي على خزانة صغيرة يبدو أن اليهودي يحمي فيها أمواله وذهبه، وبعض الأجولة التي لا بد أن (عبد الله) إن فتحها ليهتفنّ: "مرجان.. زمرد.. ياقوت.. أحمدك يا رب" لولا أن قصة (علي بابا) * سيتم وضعها بعد وفاته هو نفسه بأكثر من قرن من الزمان، فلم يشطح بخياله إلى هذه الدرجة.. وفي الداخل شد (فاسيلي) مقبض خفي آخر فانغلق الباب، وفي ذات اللحظة انفتحت الأرضية من ركنها الشمالي الخالي، لتكشف ثغرة تكفي لجسد رجل بالغ أن يعبر منها..

---

* قصة شهيرة في الأدب العالمي، والعربي خصيصًا، يقال أنها أضيفت إلى (ألف ليلة وليلة) في القرن الثامن عشر، وتحكي قصة الفقير (علي بابا) الطيب الذي يعاديه أخوه الشرير (قاسم) ثم ذات يوم يجد كهفًا يرتاح إلى جواره، فيفاجأ بجمع من اللصوص بلغ الأربعون يأتون، وآمرهم يهتف (افتح يا سمسم) لينفتح جدار صخري ويدلف منه اللصوص إلى الداخل، فيتبعهم (علي) وبعد مغادرتهم يجد كنوزًا من الأحجار الكريمة، فيهتف بالعبارة سالفة الذكر.

وفي هدوء أشار (فاسيلي) لـ (عبد الله) أن يتبعه، واتجـه نحـو الثغرة، وبدأ يهبط درجات سلم ينزل منها إلى أسـفل الأرض.. وفي هلع فكر (عبد الله) أن يغادر لكـن جملـة (فاسـيلي) تـرددت في ذهنه: **"لو أكملت الآن ما جئت من أجله، ولو رأيت ما يفـترض أن تراه، فلن يكون هناك عودة.. ولو تراجعـت، سـتلقى المـوت أمامك"**.. هو لا يريد أن يموت.. ليس الآن على الأقل، وليس بعـد أن بدأ يحب الحياة..

وفي توتر شديد، بدأ يهـبط وراء (فاسـيلي).. يهـبط، ويهـبط.. كما لو كان يهبط للدرك الأسفل من النار.

* * *

(4)

خادم

ملأت رائحة عفونة لا تطاق منخريه، بمجرد أن هبط من الفتحة!.. ناهيك عن تلك السخونة التي لم يعتدها في ذلك الوقت من العام!.. لكنه أعادها إلى أن ذلك المكان مغلق باستمرار، وهو الذي يبدو أشبه بالقبور..

ممر طويل ضيق ابتلت أرضيته وحوائطه، وعُلّقت على الجدران مشاعل تضيئه، لكن لا يوجد به أي كائنات حية على الإطلاق!.. لا عناكب أو قوارض.. لا شيء مطلقًا.. حتى الأتربة!.. من المستحيل أن (فاسيلي) يتمتع بهذا الميل المبالغ فيه إلى النظافة!..

ظل يسير وراء اليهودي حتى كاد التعب يصيبه.. الممر ينحدر لأسفل كلما مشى فيه.. هذا أكيد.. وهو طويل.. طويل للغاية.. هل يخفي هذا الحقير ثروته في مكان ما؟.. ولو كذلك، فلماذا يخبره؟.. وما دخل (يوكتان) الذي أصلاً لو نال الفرصة، لَقَتَلَ

(فاسيلي) ليحصل على ثروته؟..

ظلت الأفكار تصارعه، حتى توقف (فاسيلي) أمام باب مليء بالنقوش الغريبة!.. نقوش لم يرها (عبد الله) من قبل قط.. وأثار دهشته أن وقف (فاسيلي) بهذا الخشوع والقنوط العظيمين، وهو يمد يدًا مرتجفة ليتحسس مناطق معينة بالباب، ويلقي كلمات غريبة لم يسمعها (عبد الله) من قبل، ولم يدرك بأي لغة هي..

أو ربما سمع مثلها، حين فاجئه (يوكتان) باكرًا.. انتفض مع ذلك الصوت الثقيل للباب وهو ينزاح.. صحيح أنه أصدر صوت تكات قوية، وصريرًا رهيبًا مع احتكاكه وهو ينفتح، إلا أن هناك أصوات أخرى امتزجت به.. أصوات لا يستطيع أن يحدد كنهها.. بدت كما لو أنها صوت رياح عاتية.. لكن، من أين تأتي الرياح؟.. وربما هو صوت نيران عظيمة.. لكن، من أين تأتي النيران؟..

وللحظة مجددًا، راودته فكرة التراجع، لكن لم يجد أمامه سوى أن يتبع (فاسيلي) إلى الداخل، وانتفض بشدة حين عاد الباب ينغلق خلفهما.. من أغلقه؟.. لم يكن يثير هلعه سوى ذلك الخوف الذي امتزج بملامح (فاسيلي)!!..

أين جاء به ذاك اللعين؟..

ورأي على الأضواء الشاحبة يد (فاسيلي) تمتد وقد زاد

ارتعاشها لتمسك بزجاجة يسكب منها بعض السائل، ويقرب منه قبس من النار، فيشتعل السائل ويجري في دائرة كبيرة، رسم عليها نجمة خماسية الأطراف.. هذا محفور على أرض صخرية بنصف قطر مترين على الأقل.. وتوهجت النار، لتزيد من سخونة المكان، وإضاءته..

وبِفَرَقٍ مرّ (فاسيلي) من جوارها وخلفه (عبد الله)، ليطالعه أولاً مساحة شاسعة تمتد أمامه من تلك الأرض، وقد تبعثرت عليها أشياء لم يدرك كنهها، وبدا في نهاية المكان ما يشبه المقعد الضخم يكاد يكون بحجم غرفته، وعليه يستقر جسد هائل الحجم..

إن ارتفاع هذا الشيء - وهو في وضع الجلوس - يكاد يكون اثني عشر قدمًا.. من الذي بنى هذا التمثال الرهيب؟.. ولماذا؟.. وكم استغرق من جهد ووقت فيه؟.. أهو معبد لهؤلاء اليهود الملاعين؟.. **أتؤمن بالله يا (آبدولا)؟**.. ربما يودون أن يضموه لديانتهم!.. لكن ما علاقة عبادة الله بهذا التمثال؟.. اليهود يؤمنون بالله ودينهم دين سماوي*، ولا علاقة له بالأصنام والأوثان!!.. ثم من قال أن لديه الاستعداد أصلاً.. (يوكتان) اللعين يعرف هذا.. **أنا ألاحظ أنك لا تصلي ولم أرك تصوم مثلاً أو تقرأ**

* التوراه

القـرآن.. عـلى عكـس المـسلمين هنـا جمـيعهم.. لكـن لحظـة.. لحظة.. من قال أن الأوثان تتحرك؟..

هذا الشيء يرفع ذراعـه بـبطء.. الـذراع التـي تقـارب الأمتـار الثمانية.. (فاسيلي) اللعين ينحني في خـشوع، ثـم يخـر سـاجدًا.. (فاسيلي) الحقير يشير لـه أن يفعـل مثلـه.. الحـق أن لا مـشكلة لديه في فعل المثل، لكن الرعب جَمّده.. تأبى عضلاته أن تتحـرك.. هي - فقط - لا تستجيب له.. ولو استجابت لخر سُـجَّدًا ولمرمـغ وجهه في الأرض، لكن على جسده أن يطيعه أولاً..

وبرعب هائل سـمع صـوتًا يـتردد في عقلـه.. نعـم.. يـتردد في عقله.. لم يسمعه بأذنيه، بل في ذهنه، وفهمه بمنتهـى الـسلاسة.. لم يكن هناك صوت مميز أو رنين ما، ورغـم ذلـك اقـشعر بدنـه، وزاد رعبه.. (ابن آدم) خائف.. ويعجز عن التحكم في جسده.. قلبه النابض بعنف، يوشك على التوقف اعتراضًـا عـلى الـسرعة التـي يـدق بهـا.. لإن خرج من هنا، لَيَدُقَنّ عنق (يوكتان) و(فاسيلي)..

لو خرج.. ستخرج يا (ابن آدم).. ستخرج.. لقد رأيت قلبك، وعرفت أي نوع من البشر أنت.. ستكون خادمًا ممتازًا.. لا تخف.. ستنال ما هو أكثر مما تحلم به.

لكـن (عبـد الله) عـلى حالـه، يرتجـف بخـوف وفـرق وينظـر للكيان الهائل وهو يلوح بيديه، وسمعه يستطرد: قل لـ (يوكتان) أنه حر يا (فاسيلي).. لقد أحضر خادم أفضل منه، وأبَرّ بوعده.. يمكنه الرحيل ثـم أشـار بإصـبعه

إشارة فهمها (فاسيلي) فنهض وتراجع للخلف، ثم جذب (عبد الله) ودفعه من ظهره أن يمضي للأمام باتجاه الكيان الهائل..

وشعر الأخير كما لو أن قدميه أصبحتا تحت طوع غيره.. لقد سارتا للأمام دون رغبة منه.. حاول أن يعود.. أن يقف.. أن يقعىَ على الأرض.. لكن القدمان خانتاه وأكملتا مسيرتهما.. مر بجوار تلك الأشياء الملقاة على الأرض والتي لمحها ولم يدرك ماهيتها عندما دخل، ليدرك أنها بقايا وأشلاء بشرية..

اللعنة.. هذا كَفّ ينقصه أصابعه.. هذي ساق قد أكلت، لم يُترك منها سوى العظم.. خرب الله بيتك يا (فاسيلي).. لا تذكره.. انتفض جسده بقوة وهلع والصوت يصرخ بغضب في عقله.. طالما أنت هنا لا تذكره.. فهم (عبد الله) الأمر والمقصود.. طالما أنه في هذا المكان الكريه لا يجب أن يذكر لفظ الجلالة.. وردد في ذهنه بمنتهى الهلع "**أمرك**".. لحظة صمت.. سيخبرك (فاسيلي) بما عليك أن تفعله وتقوم به.. ارحل الآن.. أعرف أنك ستعود..

أخذ (عبد الله) يتراجع بظهره والكائن يعود لوضعيته الثابتة، حتى شعر بيد (فاسيلي) تمسك بذراعه، وتقوده إلى الخارج..

يخرجان من الباب.. يستديران والباب ينغلق وراءهما.. يسيران بضع خطوات.. لا بد أن (فاسيلي) قد بلل نفسه.. (عبد الله) يُجِدّ السير.. يجري.. يجري.. الممر أوشك على الانتهاء..

السلم الحجري.. الغرفة الضيقة.. المقبض.. ويد (فاسيلي)، تمسك يده قبل أن يضغطه!.. كيف لحق به؟.. يقول بصوت قوي:

- لن نفتح باب الغرفة ونغادرها حتى نتحدث.

يهتف به (عبد الله):

- اللعنة عليك أيها اليهودي الحقير.. أنت و(يوكتان) وهذه المدينة اللعينة.. أي هَوّل جئت بي إليه؟.. ولماذا؟.. ما هذا الشيء؟.. إنه يأكل البشر!.. اللعنة.. اللعنة.

صمت (فاسيلي) لحظة، وهو ينظر إلى (عبد الله) في برود، وقد استعاد هدوءه وذهب فرقه، ثم قال:

- الآن يمكنني أن أخبرك.. الآن يمكنك أن تعرف وتفهم.. فلا سبيل أمامك للعودة، ولا الهرب.. وإن فكرت، فستلقى مصيراً أسوأ من الموت.

قال الجزء الأخير من قوله بلهجة تحذير قاسية، فارتعد (عبد الله) وقلبه يعاود الدق بسرعة، على حين أكمل (فاسيلي) وهو يريح جسده على الأرض، مشيراً لـ (عبد الله) أن يحذو حذوه:

- أما لماذا جئت بك، فالأمر سيطول شرحه، أما من هذا، فالإجابة بسيطة، حسبتك ذكيًا فحزرتها..

نظر له (عبد الله) في حذر للحظة، ثم جلس أمامه وقد عجز مع انفعاله أن يظل واقفًا، وقال:

- ما دخل الذكاء بالأمر؟

تنهد (فاسيلي) وقال:

- من الذي يُكِنّ للبشر كل الحقد والكراهية؟.. من قد يلتهم أعداءه منهم؟.. من الذي ينعم بالنار والحر كما لو أنهما نسيم بارد لنا في حر قائظ؟.. من يمكن أن يتجسد بهذا الشكل المريع؟..

حدق فيه (عبد الله) وعينيه تتسعان في هلع، وتمتم بصوت مرتجف بصعوبة:

- الـ.. الشـ.. الشيطان؟

ابتسم (فاسيلي) وأجاب:

- بل ابنه.. ابن الشيطان.

وهوى (عبد الله) فاقدًا للوعي، وقد عجز أخيرًا عن الاحتمال.

* * *

(5)

زلنبور بن بعلزبول

المساء..

البلدة تنعس والبعض نيام..

الهدوء يعمّ الطرقات والبيوت..

وعلى أضواء الشموع المتراقصة بشكل مخيف جلس الثلاثي الملعون.. (يوكتان) و(فاسيلي)، و(عبد الله)..

الأخير يبدو شاحبًا بعد أن أفاق من إغماءته التي طالت ساعات ثم استفاق منها ليجد الآخَرين في انتظاره..

سعادة طاغية تبدو على وجه (يوكتان)، وهو يبدو شاردًا كما لو أنه في مكان آخر..

على حين بدأ يتكلم (فاسيلي) بهدوء، فيصغي (عبد الله) بكل اهتمام..

- خلق الرب - قديمًا جدًا - (سوميا)* - أبو الجن- قبل خلق

* يرجى ملاحظة أن القصة التالية على لسان (فاسيلي) تتوارد بالفعل في الأساطير،

(آدم)** بألفي عام.. وقال له الرب: تمنى.. فقال (سوميا): أتمنى أن نَرى ولا نُرى، وأن نغيب في الثرى، وأن يصير كهلنا شاباً.

فلبّى الرب لـ (سوميا) أمنيته، وأسكنه الأرض، له ما يشاء فيها.. وهكذا كان الجن أول من عبد الرب في الأرض.

لكن أتت أُمّة من الجن – مثلهم مثل البشر - بدلاً من أن يداوموا على الشكر لله على ما أنعم عليهم من نِعمٍ أفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء فيما بينهم*.. وأمر الله جنوده من الملائكة بغزو الأرض لإجتثاث الشرّ الذي عمّها، وعقاب بني الجن على إفسادهم فيها.

وغزت الملائكة الأرض، فقتلت من قتلت وشردت من شردت

والبعض ينسبها لمراجع دينية إسلامية بحث المؤلف كثيرًا ولم يجد لها إسنادًا، أو ذكر موثوق منه، فيرجى التعامل معها على هذا الأساس.. مع ملاحظة أن الرواية تعتمد على مزج بين وقائع وأمور صحيحة، وخيالات.. فالرواية ككل هي لمجرد الإمتاع ولا يجب أبدًا الأخذ بها كمصدر ديني أو تاريخي.

** أول البشر -يطلق عليه أبو البشر- خلقه الله تعالى بيديه ونفخ فيه من روحه.. علمه الأسماء، وأمر الملائكة بالسجود له، وخلق له حواء كي يسكن إليها، وأسكنهما الجنة على ألا يأكلا من شجرة، فأغواهما الشيطان فأكلا منها فطردا من الجنة إلى الأرض. كلمة (آدم) ترمز أيضًا للبشر بشكل جماعي أو للرجل منفردًا.

* قال تعالى في القرآن الكريم: قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) البقرة/30 .. هناك قولان في تفسير علم الملائكة بما سيفعله البشر ، القول الثاني أنهم قاسوه على أحوال من سلف قبل آدم على الأرض، فعلمت الملائكة أن البشر سيكونون على حال من سبقهم.
رُوي نحو هذا عن ابن عباس وأبي العالية ومقاتل . انظر "زاد المسير" (61/1)

يداوموا على الشكر لله على ما أنعم عليهم من نِعمٍ أفسدوا في الأرض.. وسفكوا الدماء فيما بينهم..

أما (الشيطان) ** فقد كان بين الملائكة - وهو من الجن - فاقتدى بهم بالاجتهاد في الطاعة للخالق..

حتى خلق الله (آدم) فأبى (إبليس) السجود له.. ولما سأله الله عن سبب امتناعه قال: (أنا خير منه)*.. فطرده الله من رحمته، عقاباً له على عصيانه وتكبره..

وفي العبرية يَرد اسم آخر لـ (إبليس)** في الأسفار هو (بعل زيبَبَ) وأصله (بَعل الذُباب) بمعنى (سيد الذُباب)، وقد أخذه

** الاسم ربما اشتُق من الشياط، وهو الاحتراق.. لأنه خُلق من (مارج من نار).. كما أن كلمة شطن في اللغة تعني (تمرد).. ويجب أن نلاحظ أن حتى الأساطير والثقافات غير الإسلامية أجمعت على أن الشيطان ليس من الملائكة.. فمقولة طاووس الملائكة ربما لخيلائه أو تميز خلقته النارية، لكن لا تعني أنه من الملائكة، والثابت بالقرآن أنه من الجن: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) / سورة (الكهف) الآية (50)
وقد قال (أبو عبيدة) أن الشيطان هو كل عات متمرد من إنس أو جن لقوله تعالى: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ- الأنعام (12).
* قال تعالى (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) (12) – القرآن الكريم – سورة الأعراف
** يقول العرب إن الاسم مشتق من اليأس، فهو قد يئس من رحمة الله (أبلس). ويوجد لفظ مشابه في اللاتينية حيث يقال له (ديابولُس) Diabolus وهو مأخوذ من اليونانية ويعني (يفسد).. في الإنجليزية (سايتن) Satan .

العبرانيون عن الكنعانيين والفينيقيين***، وذلك لأن (البَعل) هو السيد لدى تلك الأقوام****، وكان اسم أحد آلهتهم أو أصنامهم، وقد صيروه ربّا لهم، وحرف البعض الاسم فصار (بعلزبول).

ولدينا نحن اليهود سحر اسمه (الكابالا)*.. من المفاهيم الأساسية فيه أن الله خلق عدة عوالم قبل هذه الأرض لكنها تحللت بسبب سيطرة الشر عليها**...

في العبرية كان خلق الكون هو أعظم نموذج لـ (الدن) - وتعني (الحكم على الأشياء)- ثم يأتي مفهوم "الكليبوث" الذي هو باختصار قشرة الشر الموجودة في العالم..

إنها قشرة لا أكثر، لكن خطايا البشر تستطيع أن تملأها..

هنا يمارس (الدن) تأثيراً سلبيَا لأنه يفرق بين البشر وبعضهم...

وللكليبوث سبعة ملوك يمثلون العوالم السبعة السابقة المدَمّرة..

إن هذه الكيانات القديمة كائنات فوق البشر- وخارج البشر-

*** سكان سواحل الشام الأقدمين.

**** قال تعالى (أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين) الصافات 125.. ويرجى ملاحظة أن البعل يعني أيضًا الزوج في العربية.. والظاهر أن الأقدمين ربطوا بين الشيطان والذباب بجامع أن وساوس الشيطان تلح على الإنسان كما يلح الذباب، فالذباب يضرب به المثل في الإلحاح واللجاج.

* Kabbalah وقد عربه العرب (قبالة) ، وهو سحر الأرقام اليهودي.

** طبعًا هو مفهوم وقح وكافر، يفترض أن الله -سبحانه وتعالى- خلق عوالم غير متكاملة (حاشا لله) إلى أن توصل إلى خلق عالمنا الحالي.

تعيش خارج حدود عالمنا***..

التوراة تلمح لشيء من هذا، وهناك كتاب لدينا نحن معشر اليهود يدعى (إنوخ Enoch) يحكي عن 20 شيطانًا تزوجوا من بنات البشر، فأنجبوا ذرية مخيفة.. التلمود يحكي القصة ذاتها.

همهم (الحظرد) بكلمات غير مفهومة وقال بعصبية:

- هل جئتما بي لهذه المحاضرة؟.. ما خطبكما؟.. أريد أجوبة لأسئلتي وليس محاضرة في الغيبيات والتاريخ.

ضحك (يوكتان) ملء شدقيه، وقال:

- صبرًا يا (آبدولا) وستحصل على الإجابات.

زفر (الحظرد) بضيق، على حين اعتدل (فاسيلي) متابعًا:

- من رأيته يا (آبدولا) بالأسفل تصورته أنت أنه الشيطان.. الحقيقة أننا لم نر (إبليس) بعد كل تلك السنوات التي خدمناه فيها!.. هذا ابنه كما قلت لك آنفًا.. فبعد أن هبط الشيطان إلى الأرض - مع هبوط (آدم)- لم تَخمد ناره أو عداوته لـ (آدم) - رغم تسببه بطرد أبو البشر من الجنة- فكان يَمَني النفس أن يُحَرَم عليه الجنة للأبد تماماً كحاله هو..

لكن ما العمل؟.. فعداوته قد انكشفت، ولم يعد بإمكانه

*** يعتقد الغربيون أن هذه الكيانات القديمة هي ما يعنيه العرب بلفظ (الجن).

مواجهة (آدم) - الذي هو على طاعة الرب قائم..

لذلك اختار أن يستخدم سلاحه 'الوسوسة'، على ابنهم (قابيل) وظل يوسوس له حتى نجح فقتل أخاه (هابيل)*..

هكذا وجد (إبليس) أن ذُرِيّة (آدم) هي هدفه السهل وليس أبيها.. لذا تجنب (آدم) و(حواء) تمامًا - لإيمانهما القوي وتوبتهما العظيمة- ووضع جلَّ أهدافه في ذريتهما التي رآها أضعف أمام الأهواء..

وبدأ شَرّهُ يظهر للوجود وبلا حدود..

ثم مات (آدم) و(حواء)..

فظن (إبليس) أن موتهما انتهاءَ لهروبه من المواجهة، وأن بإمكانه الظهور علناً للبشر- وشنّ حربه عليهم، لأنهم ضعفاء لا يقدرون على المواجهة..

ظهر (إبليس) للعلن، ومعه خلق من شياطين الجن والمردة والغيلان، ليبسط نفوذه على الحياة في الأرض..

وليظل يطارد البشر سنين عددًا..

---

* قَدَّمَ ولدا (آدم) – عليه السلام – (قابيل) و(هابيل) – وهما أول ذريته – قربانيهما فتقبل من أحدهما (هابيل) ولم يتقبل من الآخر (قابيل) فثار الأخير وغضب وهجم على أخيه فقتله، ثم جلس يبكيه في ندم، فأرسل له الله تعالى غرابًا يحفر في الأرض، فتعلم منه كيف يواري الميت.

ومع ازدياد نسل (آدم) كان يزداد تابعي (إبليس)..

لكن الرب شاء أن ينصر بني الإنس على الجيش الإبليسي- الـذي أسسه (إبليس)، فعضدهم برجلٍ عظيم اسمه (مهلاييل)*..

ويُروَى أنه ملك الأقاليم السبعة** وأول من قطع الأشجار.

قام (مهلاييل) بتأسيس مدينتين محصنتين، كانتا في منتهى القوة والروعة والرخاء..

مدينة بابل* ..

---

* يقال أنه: 'مهلاييل بن قينن بن انوش بن شيث عليه السلام بن آدم عليه السلام'

** قسم الناس الأرض قديمًا إلى أرضين، احداهما معمورة، وقسموها سبعة أقاليم.

* بابل (باللاتينية Babylon). هي مدينة عراقية كانت عاصمة البابليين أيام حكم حمورابي حيث كان البابليون يحكمون أقاليم ما بين النهرين وحكمت سلالة البابليين الأولى تحت حكم حمورابي (1792-1750) قبل الميلاد في معظم مقاطعات ما بين النهرين، وأصبحت بابل العاصمة التي تقع علي نهر الفرات. اشتهرت بتحضرها. وبلغ عدد ملوكها (السلالة الآمورية / العمورية) 11 ملكا حكموا ثلاثة قرون (1894 ق.م. - 1594 ق. م.). بلغت حضارة المملكة البابلية أوج عظمتها وازدهارها وانتشرت فيها اللغة البابلية بالمنطقة كلها، وارتقت العلوم والفنون وتوسعت التجارة لدرجة لا مثيل لها في تاريخ المنطقة. وكانت الإدارة مركزية والبلاد تحكم بقانون موحد. دمرها الحيثيون عام 1595 ق.م. ثم حكمها الكاشانيون عام 1517 ق.م. وظلت منتعشة ما بين عامي 626 و539 ق.م. خاصة أيام الملك الكلداني (نبوخذ نصر) حيث قامت "الإمبراطورية البابلية" وكانت تضم من البحر الأبيض المتوسط وحتى الخليج العربي. استولي عليها قورش الفارسي سنة 539 ق.م وقتل آخر ملوكها بلشاصر. كانت مبانيها من الطوب الأحمر واشتهرت بالبنايات البرجية (الزيجورات). الآن أصبحت أطلالا. عثر بها علي باب عشتار وشارع مزين بنقوش الثيران والتنين والأسود الملونة فوق القرميد الأزرق.

ومدينة السوس الأقصى**..

كان غرضه منهما أن يحتمي بهما الإنس من أي خطرٍ يهددهم.. ثم أسس جيشه الإنسي الذي كان أول جيش في حياة البشر- للدفاع عن المدينتين، حتى قامت معركةٌ رهيبة بين جيش (مهلاييل) وجيش (إبليس)، وكتب الرب النصر فيها للإنس، حيث قُتِل بها عدد كبير جدًّا من المردة والغيلان والجان، ففرّ (إبليس) من المواجهة..

وظل يبحث عن مأوى يحميه ومن معه من الجن.. واختار أن يكون هذا المأوى بعيداً عن مواطن الإنس، يبني به مملكة يحكمها وتلمّ شمل قومه شياطين الجن الفارين من غزو الملائكة من قبل..

ولقد طاف (إبليس) في الأرض بحثاً عن المنطقة الملائمة لبناء حلمه..

حتى وقع اختياره على منطقة بعينها - لا نعلم حتى الآن سوى أنها على أحد البحار- وذلك لأسباب عِدة، أهمها أنها على بُعد آلاف

** كان يطلق هذا الاسم قديمًا على (سهل سوس) الحالي وهي منطقة جغرافية تقع جنوب (المغرب)، تحده سلسلة جبال الأطلس الكبير من الشمال وسلسلة جبال الأطلس الصغير من الشرق والجنوب، والمحيط الأطلسي من الغرب. سكانها من الأمازيغ الشلوح وعرب ممثلين بخليط هوارة، تمثل ربع مساحة المملكة. تشتهر بتواجد غابات الأركان النادر كما تشتهر أيضا بالفلاحة حيث إنها من أكثر المناطق المسقية. وهي الممون الأول للسوق المغربية بالخضر و الفواكه، كما تعتبر مدينة أكادير قطب سياحي وثاني مدينة مغربية من حيث توافد السياح بعد مراكش وتتكون من عدة أقاليم ومدن أشهرها: أغادير عاصمة سوس، تارودانت، تزنيت، إنزكان، أيت ملول الدشيرة.

الأميال من المناطق التي يستوطنها نسل (آدم) آنذاك.. ثانيها أنه أراد أن تكون قريبة من المواطن التي فرّ إليها معظم شياطين الجن إبان غزو الملائكة.

هنا قاطعه (يوكتان) وقد شعر أن عليه إدلاء دلوه بالحديث:

- واستغل (إبليس) قدرات الجن في بناء المملكة، والتي كان من أهما ما يلائم طبيعة البحر.. لاحظ أنه في قرآن المسلمين: {**وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ**}*.. وبعد ذلك وضع عرشه على الماء، وأسس جيشه من شياطين الجن الذين التفوا حوله، ينفذون كل ما يأمرهم به..

نبي المسلمين كذلك قالها *..

ووضع (إبليس) للحيّات مكانة عنده، بأن جعلها من المقربين لعرشه** وذلك جزاء ما عملت له الحية في الجنة من مساعدة...

---

* سورة (ص) – آية: 37

* جاء في صحيح مسلم » كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ» بَاب تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ - رقم الحديث: 5037 (حديث مرفوع): عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): " إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ ".

** مسند أحمد بن حنبل » مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ...» بَاقِي مُسْنَدِ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ - رقم الحديث: 14868 (حديث مرفوع) ... حَدَّثَنَا مُؤَمَّلٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، حَدَّثَنَا عَلِيٌّ يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ صَائِدٍ : " مَا تَرَى ؟ " قَالَ: أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ - أَوْ قَالَ عَلَى الْبَحْرِ - حَوْلَهُ حَيَّاتٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): " ذَاكَ عَرْشُ إِبْلِيسَ".

فحين كانت الجنة محروسة بالملائكة - الذين يُحرَمون على (إبليس) دخولها كما أمرهم الرب - كان هو يُمني النفس بدخولها حتى يتمكن من (آدم) - الذي لم يكن يغادرها.. فاهتدى أن يطلب من الحية - وقد كانت تخدم الأخير - أن تخون (آدم) وتساعده للدخول، ذلك بأن يختبئ في جوفها حتى تمر من الحراس الملائكة.. ووافقت الحية، فاختبأ (إبليس) داخلها حتى مرت لداخل الجنة دون أن تُكتشف الحيلة.***

التقط (فاسيلي) طرف الحديث بعد أن جرع من الماء:

- وخلال كل ذلك الوقت، كان قد فكر في فكرة جهنمية مثله..

هو يمتلك القدرة على أن يتشكل في أي هيئة يشاء****.. ولقد رحل من أرض إلى أخرى، ومن قارة إلى أخرى..

يختار إنسيّة ليتزوجها، وينجب منها ابنًا يحمل صفاته وصفات

*** القصة أنكرها الأئمة، وقالوا أنها من الإسرائيليات.

**** إلا أن يتجسد أو يدّعي هيئة الخالق عز وجل أو الأنبياء مثلاً.. هذه حقيقة ورد ذكرها في الإسلام بمواقع ومواقف متنوعة، أهمها وأشهرها حديث النبي محمد (ﷺ) - وهو حديث صحيح وله ألفاظ عدة، منها قوله (ﷺ): (مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي) في عدة ألفاظ وردت عنه عليه الصلاة والسلام كما قلنا، وقد دلت كلها على أن عدو الله - الشيطان - قد حيل بينه وبين أن يتمثل في صورة النبي (ﷺ). هذا وقد رَوى الحديث بصور ومواقف مختلفة كل من: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ- أبي هريرة- أبو الزبير عن جابر بن عبد الله- أبي سعيد الخدري – أنس (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين) وقد ذكرت في: البخاري – الألباني – مسلم.

أمـه.. كـان يسـعى إلى نشرـ ذريـة مختلفـة في الأرض، تكـون مـن شياطين الإنس كما هي من شياطين الجن.. تحيا وسط البشر وتتخذ حياتهم وهيئتهم وتتقرب منهم، فتوعز إليهم وتضلهم بأفضـل مـما يفعل هو..

لكن، خاب أمله وضل سعيه حـين كـبر أبنـاءه وطغـت ملامحـه عليهم واتخذوا شكله، حتى دعاهم البعض مسـوخًا وهـم لا زالـوا أطفالاً بعد، وحين كبروا لم يعد بوسعهم الحياة وسط البشر..

وأسـس (إبلـيس) مجلـس وزرائـه الـذي سـيقود مخططاتـه الشيطانية في عالم الإنس.. ووَكَّلَ لـه خمسـة فقـط مـن أولاده يثـق فيهم أكثر من الآخرين، قـد جعـل كـل واحـد مـنهم عـلى شيء مـن أمره، هم: (ثبر)، (الأعور)، (سوط)، (داسم)، و(زلنبور)..

أما باقي بنيه فلجأوا إلى الأماكن المهجـورة مـن الأرض ليسـكنوا فيها، وجمعوا حولهم عددًا كبيراً من الجن والمخلوقات الأخرى التي كفرت، واتخذوا لأنفسهم من البشر خدامًا وعبيد.

نطـق الجملـة الأخـيرة بمـرارة، ثـم صـمت.. طـال صـمته، ولمـح (الحظرد) - ويالعجبه- في عينيـه الـدمع يترقـرق، فـأسرع (يوكتـان) يكمل:

- وهكذا استقر (إبليس) على عرشه الأرض الذي لا نعـرف عنـه سوى أنه فوق الماء، وانتشر أبناءه العشرـين في كافـة الأنحـاء، لهـم

أتباع كثر من مخلوقات لا تتخيلها، وخدام من البشر.. واستمر الحال على هذا لزمن طويل.. طويل جدًا..

بالطبع لم يكن (إبليس) وشياطين الجن فحسب من تسنى لهم بناء مملكة قوية، بل أيضاً الإنس بنوا حضارات عظيمة، وهذا هو السبب الرئيسي الذي دعاني لأن أطلب من سيدي (زلنبور) – الذي رأيته أنت مع (فاسيلي) – أن يسمح لي بمغادرة هذه المدينة، وأن أرحل إلى (إرم)* الجديدة أخيراً.

حدّق (الحظرد) في وجهه كما لو كان مجنونًا، وهتف بصوت مختنق:

- (إرم)؟.. لقد هلكت هذه البلاد منذ زمن بعيد.. حتى آثارهم لم يُستدل عليها.

ضحك (يوكتان) وقال:

- نعم، هذا صحيح.. لقد خَسَفَ بها الرب الأرض وسلّط على أهلها الريح الخبيثة أيام وليال حتى هلكوا..

لقد كانت من أعظم المدن وأبهرها.. لكن أتباع الشيطان عملوا على أن يقيموا مدينة تكاد تقاربها شبهًا، تكونت من أطلال لا يراها إلا الشياطين والجن الذين عملوا على أن يستقر بعضهم فيها.. ولقد

---

* {ألمْ ترَ كيفَ فعلَ ربُّكَ بعاد (6) إرمَ ذاتِ العماد (7) التي لم يُخْلَقْ مثلُها في البلاد(8)} (سورة الفجر – القرآن الكريم).

رجوت (زلنبور) أن يرسلني إلى هناك، كي أحيا فيها.. فكما سمعتُ الحياة هناك بديعة.. والذي يحكمها هو ابن (إبليس)، المدعو (داسم).

شعر (الحظرد) برأسه تدور، وتمتم:

- أشعر أني سأفقد وعيي مجدداً.

عاد (يوكتان) يقهقه، ابتسم (فاسيلي) ابتسامة خفيفة، ونهض الأول قائلاً:

- حسنًا، افقد وعيك كما تشاء.. أنت الآن في عهدة (فاسيلي) على كل حال.. لقد بعته ممتلكاتي وسأرحل بما معي من أموال وذهب إلى (إرم)..

وتوقف لحظة وهو يمد يده إلى (الحظرد) محذراً ثم استطرد بصوت عميق:

- لا تُثر غضب (زلنبور) يا (آبدولا).. انه عصبي المزاج ولكنه سخي، ويمكنه أن يمتعك كما تشاء..

ثم أردف وقد اكتست لهجته بإغراء واضح:

- ولا تنس أنه المسئول عن الأسواق والكنوز*..

---

* يقال أن (زلنبور) هو الموكل بالسوق "الذي يركز رايته في السوق" لدفع التجار للغش وللسرقة، كما يسعى لافتعال المشكلات بين الناس.

ثم ابتسم وهو يستعيد يده:

- هذا يُسيّل لعابك طبعًا.

وعاد يقهقه كعادته مغادرًا المكان مُخَلّفًا صَدىَ ضحكاته الثقيل.

* * *

الفصل الثالث

ابن الشيطان

اعتبر - يا أيها المغـــرورُ بالعمرِ المديدِ - فأنا (شـدَّادٌ بـنُ عـادٍ) صـاحبُ الحصـنِ المشـيدِ، والـذي ملكـتُ الشرقَ والغَـــربَ بســـلطانٍ شـديدِ، فـأتى (هـــودٌ) وكُنَّـــا في ضـلالٍ قبلَـه، فدعـــانا.. لـو قُبِلنـــا كـانَ بالأمـرِ الرشـــيدِ، لكنّا عصينـــاهُ.. نـادى: "مـا لكـم؟ هـل مـن محيـدٍ؟".. فـأتتـــنا صيـــحةٌ تهـــوي مـن الأفقِ البعيـدِ، فتـوافَـيْنَـــا كـزرعٍ وَسْـــطَ بيـــداءِ حصيـدِ.

ما كتبه المؤمن بربه (مرتد) ، على قبر أبيه

1

هويا باكيو

اسمه (عبد الله ظهر الدين)..

بلغ اليوم سِنهُ السابعة والثلاثين.. غَيّر اسمه بناء على طلب ابـن الشيطان إلى (آبدولا) كما كان يناديه (يوكتان)..

(آبدولا الحظرد)..

مضت عليه سنوات ست في المدينة..

وفي خدمة (زلنبور)..

ولو أنه كان طبيعيًا، لشاب شـعره مـن هـول مجـرد وصـف مـا

فعله هو خلال هذه السنون.. لكنه قد اعتاد ما يَصنع، كأنما خُلِق من أجله!..

وبقدر ما أثار هذا عجبه، بقدر ما أرضاه..

وأرضى (زلنبور) نفسه..

كان يحرص أن يكون دومًا على غير طهارة قدر ما يستطيع، فكان لا يستحم كل شهر إلا مرتين، ويسكب على جسده العطر يوميًا حتى لا تنفضح رائحته.. كان يصاحب النساء ويلقي بنفسه في أحضانهن كل ليلة.. الخمر كانت قد حلّت لديه محل الماء.. سخريته من الأديان كانت ملء الأسماع..

ومساء كل سبت، كان يسجد أمام سيده اللعين..

وكان يُلبي أوامره التي يلقيها عليه، مهما كانت.. زَنا، وسَرق، وخَدع، وغَش، وكَذب، وأثار الوقيعة والحقد والبغضاء، وفَرّقَ بين الناس..

وقَتل..

لن ينسى ذلك اليوم حين أمره (زلنبور) بقتل شيخ أئمة المدينة... فترصده ذات فجر بعد أن صَلّى الشيخ بالناس وانصرفوا، فلبث الرجل كعادته يقرأ القرآن، فتسلل هو إلى بيت الله الطاهر، وبغدر وخسة تسلل من وراء ظهر الشيخ، وهوى بنصل الخنجر المسموم على ما بين الكتفين المنكبين على كتاب الله، ليخترق به الجسد

المُسن، وليزهق الروح الطاهرة!..

العجيب أنه لم يهتز له جفن، وهو يرتكب فعلته التي ارتكب!.. بل ربما استشعر نشوة مريضة!!..

وأبشع ما فعل، هو حين استجلب أول مرة لسيده اللعين وليمة بشرية!..

طلب منه (زلنبور)، أن يأتيه كل يوم سبت أول من كل شهر، ببشري - ذكر أو أنثى - ليلتهمه.. وكان (الحظرد) يفعل ذلك بمنتهى اليسر والخبث..

هذا شَحّاذٌ ليس له من أحد يسأل عنه.. نفحة لا بأس بها، ثم " تعال معي للمخزن السفلي فأعطيك كساء جديد".. هذه خادمة مسنة، هجرها أبناءها.. "المخزن بحاجة للتنظيف".. هذه عاهرة رخيصة، لن يفتقدها أحد.. "هيا إلى خلوتي السرية التي لن يجدنا فيها أحد".... هذا أحد سُمّار الليل من السُكارىَ.. وغيرهم وغيرهم، فالمدينة مليئة والفرص سانحة..

والحجج ماهرة، تناسب الضحايا، وتلعب على حاجياتهم..

في المرات الأولى، كان يكتفي بأن يصحب الضحية ويفتح الباب لها، فما إن تدلف منه، حتى يسرع بالهرب، والباب ينغلق وراءه، مُخَلِّفًا صوته العتيد، ممتزجًا بصراخ رهيب ترتعد له ساقاه..

مع الوقت بدأ يبتعد بهدوء، والصراخ يبدو عذباً في أذنيه..

ثم اعتاد أن يسجد أو يركع، منتظرًا انتهاء اللعين ابن الملعون من وليمته..

* * *

بلغ اليوم سِنهُ السابعة والثلاثين.. وقرر أن يطالب (زلنبور) بأجره.. حان الوقت لهذا، بعد تلك السنوات التي قضاها في مهامه القذرة..

صحيح أنه صار من أكبر التجار بالمدينة، حتى أن (فاسيلي) نفسه صار أقل منه مكانة وحظوة لدى الأول، إلا أنه لم يقبل بهذا الهول من أجل فُتات..

لقد وَعَدَهُ (يوكتان) بالمال.. الكثير من المال، لا تجارة عادية مهما بلغ شأوها..

وعده بالعلم الواسع..

والأهم، بالخلود..

لذا فقد عزم أمره، واتجه في ذلك السبت للقاء (زلنبور).. مرَ بالرحلة المعتادة التي ألفها.. المقبض، الغرفة، الممر، ثم الباب، يقف أمامه ليلقي التعويذة التي تفتحه.. يمر منه ويسمعه ينغلق خلفه.. يشعل النار، ويخرَ من جديد سَجدًا.. "**أمرك**".. يردد في ذهنه، فيسمع "**حان الوقت يا (آبدولا) كي تنفرد بكل شيء**".. خشي أن يفكر، فيسمع هذا اللعين أفكاره.. تُرى هل علم ما جاء من أجله

الليلة؟..

أسرع يشاغل نفسه بالمشهد أمامه، والكلمات تتوارد إلى خاطره.. "**لقد انتهى زمن (فاسيلي) ولا حاجة لي به بعد اليوم.. اقتله**".. ماذا؟.. يقتل (فاسيلي)؟.. (فاسيلي) الخادم المطيع منذ عشرات السنين؟.. "**قهقهة عاتية تبدو كرنين عشرات الأجراس اختلط بعواء الذئاب**".. "**لقد هَرم (فاسيلي) يا بن (آدم) وفقد حماسته.. ولحسن حظه أنه لن يلقى مصير (يوكتان)**"..

العبارة الأخيرة هزته من الأعماق!.. "**وما أصاب (يوكتان) أيها العظيم وهو في رعايتك؟**".. "**لقد أصابه الطمع ورغب في أن يخرج عن طوعي ويرتقي**".. ارتعد (الحظرد).. إنه يعلم.. لا شك يعلم.. "**أعلم يا (آبدولا).. منذ دخلت أنت من الباب.. لكن لا تخش شيئًا.. آمالك أبسط مما تتخيل وستنالها من دون أن تطلبها.. أما (يوكتان)، فقد تصور أنه صاحب فضل عليّ وأنني مضطر لتلبية آماله الحقيرة.. إنني أشفق على أخي (داسم) من طعم هذا الحقير.. (قهقهة)** "... ترى، لو بال على نفسه الآن، ما سيكون رد فعل (زلنبور)؟..

"**التقط تلك القنينة واشرب ما فيها من سائل.. ستمدك بعشرات السنين التي ستقضيها في خدمتي.. ستفعل يا**

(آبدولا).. أليس كذلك؟"... "**سأفعل يا سيدي.. بالتأكيد سأفعل**".. لم يرددها في عقله، بل هتف بها بكل فرقه ورعبه وهو يرتعد ويمد يدًا مرتعشة للقنينة فيشرب ما فيها من سائل مائل للسواد.. ما هذا الطعم؟.. أهي دماء؟.. "**نعم يا ابن (آدم).. هي دماء.. دمائي.. فاشرب وانعم بالقوة والصحة والشباب الدائم**"..

ثم أشاح (زلنبور) بيده، فتراجع (الحظرد) بظهره، مغادرًا المكان، وهو بين خوف وفرح، تنتابه الهواجس وتتلاعب به خيالات المشاعل.. يُجِدّ السير.. يجري كما أول مرة.. يجري.. الممر أوشك على الانتهاء.. السلم الحجري.. الغرفة الضيقة.. المقبض.. حتى يصل للغرفة، ومنها يدلف للمحل فيجد (فاسيلي) جالسًا بانتظاره..

- خمر.. أريد خمرًا.

ابتدره (الحظرد) بالعبارة وهو يلهث، فأخرج (فاسيلي) قنينة من أجود أنواع الخمر ناوله إياها، فتجرعها بنهم، ولما فرغ منها ألقاها وتنهد مسترخيًا في مقعده.. للحظات تركه (فاسيلي) كي يهدأ، ثم سأله:

- ما الذي حدث؟

هز رأسه مجيبًا:

- لا أستطيع أن أخبرك.

لاذ (فاسيلي) بالصمت، حتى إذا نهض (الحظرد)، سأله:

- ألم يخبرك عني؟.. لم أره منذ فترة، ولم يطلب مني شيئًا!!..

صمت (الحظرد) وهو يرمقه باحثًا عن جواب، ثم قال:

- أليس لديك ما يؤكل؟

نظر إليه (فاسيلي) نظرة عميقة، ثم نهض متثاقلاً ليجلب بعض الطعام، وفي بطء دَسّ (الحظرد) يده في طيات ثيابه وأمسك بمقبض خنجره المسموم - الذي لم يعد يفارقه - وسمع (فاسيلي) يقول بصوت كسير:

- ألمْ يخبرك لماذا يريدك أن تقتلني؟

بُهت (الحظرد)، وتسمرت يده بالخنجر على حِجره، و(فاسيلي) يستدير ليواجهه متابعًا بانكسار:

- لقد خدمته بإخلاص طيلة حياتي.. مائة وثلاثة وثلاثون عامًا وأنا عبده الوفي!.. وهذه هي نهايتي؟

أجابه (الحظرد) بصوت خافت:

- أنت أسعد حظًا من (يوكتان).. لقد التهمه (داسر).

اتسعت عينا (فاسيلي) بذهول مرتعب، وصمت لحظة، قال بعدها:

- صدق الرب حين قال في قرآن المسلمين: "وما يعدهم الشيطان

إلا غرورا"* ..

حدق فيه (الحظرد) للحظات، ثم قال بصوت خفيض:

- لو شئت، تركتك تنهي حياتك بنفسك.

أومأ (فاسيلي) برأسه إيجابًا، واتجه في تثاقل إلى غرفته فغاب داخلها لحظات، ثم عاد بقنينة بها سائل شفاف، جلس وهو يفتحها، ونظر لها لحظات بيأس قبل أن يرفعها إلى شفتيه، متجرعًا ما بها حتى آخر قطرة..

وبمنتهى الهدوء، جلس (الحظرد) يراقبه وقد بدأت ملامحه تتشنج والألم يغزوه، وقد ضغط بيديه على خصره، ورفع رأسه يستجدي بعينيه المساعدة من (الحظرد) الذي ظل يرقبه بنفس الهدوء، حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

* * *

"اليوم أتممت ثلاثة عشر عامًا في خدمتي يا (آبدولا).."

تسلل الفكر إلى عقل (الحظرد) بنعومة، فخفق قلبه بشدة، وهو يُنصت للكلمات في اهتمام..

لقد بلغ بالفعل عامه الخامس والأربعين، وأصبح أهم رجال المدينة وأغناهم وأكثرهم صحة وسلطانًا، وبلغ ما لم يحلم به أي

---

* القرآن الكريم – سورة النساء – الآية (120): يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا

إنسان مثله..

إلا أنه لم يكن يصبو لهذا فحسب.. كان يريد المزيد، والمزيد..

واليوم - بناء على طلب (زلنبور) في السبت الماضي- اصطحب معه أحد العاملين لديه وجد فيه الطمع والخبث - ومن الصدف أنه كان يهودياً مثل (يوكتان) و(فاسيلي) - وشرح له الأمر..

ولم يعارض اليهودي الأجير لحظة، ولم يتردد.. لقد وافق، مثلما فعل بني جلدته، ما دام يعده الشيطان بالكثير..

أما هو فكان يرتجف..

هل هذا يعني أن (زلنبور) ينوي استبداله؟.. أبهذه السرعة سيتخلص منه؟.. هل سيلقى نهايته الليلة على يد (ابن الشيطان)؟..

ترى كيف ستأتي النهاية؟.. وهل سيتألم؟..

في رعب حقيقي وصل مع الخادم الجديد، ومَرّا بنفس ما مر به هو مع (فاسيلي) منذ ثلاثة عشر عامًا.. لم يدر لم بدا له هذا كأنه بالأمس القريب!..

واصل الاستماع بلهفة إلى (زلنبور)، والأخير يستطرد:

"ورغم أنها أقصر فترة عمل خلالها إنسيّ في خدمتي أنا أو عشيرتي، إلا أننا – نظرًا لطبيعتك النادرة بين ذرية (آدم) - قد قررنا أن نفتح لك ما لم يره بشر من قبلك.. اليوم نفتح لك

(هويا باكيو)*.. إنها البوابة المحرمة للجانب الآخر.. لم يرها سوانا نحن أبناء (إبليس) وأتباعنا من الجن والمردة وأخلص المخلوقات التابعة.." زادت دقات قلب (الحظرد) ولهث في انفعال وهو يواصل الإصغاء.. "**ستنفتح البوابة لوقت قصير للغاية، فانظر ودقق في كل ما ستراه، ستجد عدة فجوات مكانية، تطل على عشرين بقعة أرضية، يحكم كل منها أحد أشقائي.. اختر أين تريد أن تكون؟.. هل تود الاستمرار معي، أم ترغب في مكان آخر؟..**"..

قالها وأعقب ذلك بأن أشاح بيده، فخيل لـ (الحظرد) أن الجدار الذي يقع إلى يمين (زلنبور) يرتج دونما صوت، ثم انهار فجأة ليصير ركامًا على الأرض.. ومن خلفه مشهد غريب.. أو امتزاج لمجموعة

---

* Hoia baciu: في عصرنا تدور الكثير من القصص التي يرويها بعض الناس الذين دخلوا غابة تدعى (هويا باكيو) تقع في (كولوج) بـ (رومانيا) حول أنهم لا يتذكرون كيف قضوا وقتهم هناك!. وبعض الذين دخلوا للغابة التقطوا عدة صور لأجسام على شكل أقراص تحلق في سماء الغابة!
الغابة حديث محرم لدى السكان المحليين، حتى لا تصيبهم لعنة الشيطان!.
من المعروف أيضاً عن تلك الغابة أن الأجهزة الإلكترونية يصيبها عطل غير مفهوم!.. وبعض المحققين في الماورائيات والخوارق ربطوا هذه الأمور مع أنشطة خارقة للعادة في تلك المنطقة. (الكسندر فرزت) أحد المهتمين في دراسة الظواهر الغامضة تمكن من أخذ بعض الصور لظلال غامضة كانت تتبعه بين الأشجار.. كما أنه لاحظ بالإضافة إليها بعض الأشكال الأخرى وبعض البقع الضوئية.. كذلك في برنامج تلفزيوني مهتم بالماورائيات تم إرسال مراسل لتقصي الأحداث داخلها ولكنهم وجدوه ملقى على الأرض لا يتذكر ما جرى له أثناء مهمته.

مشاهد..

وبتردد نهض من ركوعه المعتاد، وأخذ يقترب بحذر..

أول ما قابله كان هواءَ ساخنًا لم يمر عليه من قبل مثيلاً له.. وكان المشهد رهيبًا..

تخيل لو أن حائط بحجم شقتك كلها قد انهار، وظهر من خلفة فجوة عملاقة، تحتوي على عشرين فجوة أصغر بداخلها.. واحدة كما لو أنها من بلاد أخرى، أهلها صفر الوجوه قصيري القامة ضيقي الأعين.. وثانية أهلها يمتازون ببشرة سوداء، عراه كيوم ولدتهم أمهاتهم - وهو لم يكن بالمشهد المحبب لو شئت الحق - وثالثة فيها نساء يرتدين أزياء غريبة واسعة جدًا من الأسفل، ضيقة جدًا من الأعلى وبصحبتهن رجال لا يقلون ملاحة عنهم، كلهم بيض البشرة زرق الأعين صفر الشعر، أما الرابعة فكانت..

يفرك عينيه غير مصدق..

أهذه مباني؟..

نعم، مباني عملاقة لم يحلم أن توجد مثلها.. والجدران مزينة بالذهب واللآلئ والأحجار الكريمة الملونة.. هو يعلم جيدًا أنها أحجار نفيسة.. اقترب منها وقد سال جشعه على شدقيه في صورة لعاب مقزز..

لم يكمل النظر.. فقط أشار إلى تلك الفجوة، مغمغمًا وهو

يرتعش: "**هـ.. هذه.. هذه، أي سيدي ومولاي**"... "**أأنت واثق يا (آبدولا)..**".. هز رأسه إيجاباً في جشع، فتابع (زلنبور): "**هذه هي (إرم) الجديدة يا (آبدولا).. إذا ذهبت إلى هناك ستجب عليك طاعة (داسم).. ستكون في خدمته.. مجيبًا لطلباته، منفذًا لأوامره.. طباع أخي سيئة، صدقني.. أفأنت واثق يا (آبدولا)؟..**"

عاد يهز رأسه إيجاباً، فأشار (زلنبور) بيده لتتغير الفجوة أمام عيني (الحظرد) لتصير تلك الفجوة التي تنقل مشهد (إرم)، وتردد صوت (زلنبور) في عقله: "**اعبر يا (آبدولا).. عالمك الجديد ينتظرك.. نياهههاهاهاها!..** ".. لماذا تبدو تلك الضحكة الكريهة مليئة بالخبث والسخرية هذه المرة؟.. " **مولاي.. ماذا بشأن ثروتي وممتلكاتي؟**".. "**لن تحتاج إلى هذه التفاهات يا ابن آدم..** " وعاد يشير بيده في حزم إلى الفجوة، لم يملك (الحظرد) معه إلا أن يتوجه نحوها بتردد، ثم يمر عبرها، وما إن اكتمل جسده داخلها، حتى انغلقت بعنف..

وأشار (زلنبور) بيده، فعاد الجدار يتشكل بغتة، ثم التفت بعينين دمويتين، يتطلع إلى خادمه الجديد.

* * *

2

حاسم بن بعلزبول

كوابيس بشعة..

هذا ما يمكن أن يقوله المؤلف عما مر به (الحظرد) حين عبر البوابة..

فالموقف كان رهيباً..

وما من كلمات تستطيع وصفه..

الوصف يحتاج لبلاغة (شارل بودلير Charles **Baudelaire**)* وكابوسية (لافكرافت H. P. **Lovecraft**) ** مع جرعة لا بأس بها من "أفيون"*** (هوميروس **Homer**)**** .. لذا سيترك الراوي الأمر لخيال القارئ، فكل العوالم الجهنمية والمشاهد البشعة التي يمكنك تخيلها، مرّ بها..

تريدني أن أساعدك على التخيل؟.. حسنًا، لقد كان أول ما قابله ريحًا ساخنة عاتية، حتى أنه صرخ ألمًا وقد خيل له أن جلده يذوب!.. الرؤى حوله غامت وهو يحلق في الهواء، ومن تحته ألسنة نيران عظيمة، وقد اصطبغت السماء باللون الأحمر.. يعرف

---

* 1821-1867 شاعر وناقد فني فرنسي شهير، امتاز ببلاغته وتقدمه عن زمنه. أول أعماله ديوان (أزهار الشر) المختلف عمن عاصروه، وآخر أعماله – الذي لم يُنشر في حياته - هو (سأم باريس) الذي لم يتحمس له الناشران وقتها.. جدير بالذكر أن هذا الديوان أثر تأثيرا عارمًا في الأجيال اللاحقة!

** هوارد فيليبس لافكرافت 1890 - 1937 كاتب وروائي أمريكي اشتهر بكتابة قصص الرعب والخيال العلمي.. يصنع عالمه المحبب له من خلال أعماله، التي نلمس فيها مدى درجة نبذه للواقع وعدم التكيف والانتماء.. فيهرب منه بهيستريا.

*** Opium مخدر يستخرج من الخشخاش. عادة يصنع على هيئة قوالب أو عصي. يحتوي على مواد قلويداتية كالمورفين والكودايين والبابافارين. ومنه يحضر الهيروين. يستخدم في التخدير وكمسكن قوي للآلام. يسبب الإدمان.

**** هوميروس: شاعرٌ ملحمي إغريقي أسطوري يُعتقد أنه مؤلف الملحمتين الإغريقيتين (الإلياذة) و(الأوديسا). بشكلٍ عام آمن الإغريق القدامى بأنه كان شخصية تاريخية، لكن الباحثين المحدثين يُشككون في هذا، ذلك أنه لا توجد ترجمات موثوقة لسيرته باقية من الحقبة الكلاسيكية كما أن الملاحم المأثورة عنه تمثل تراكماً لقرونٍ عديدة من الحكي الشفهي. يرى البعض أن هوميروس ليس اسماً لشاعرٍ تاريخي، وأنه اسم مستعار. اختلف في الفترة الزمنية التي تواجد فيها.

الرسامون تـأثير درجـات اللـون الواحـد وأهميتـه، فقـد يبـدو فاتنًـا أحيانًا، وأحيانًا يعبر عن الخطر الرهيب أو الموت..

أجساد معلقة رأسًا على عقب، بحبال تمتد إلى أعلى..

أي أعلى؟.. لا يدري، فلا حدود بصرية هاهنا!..

أجساد تسير ممزقة!!..

غيلان بشعة المظهر تحترق ثـم تنطفـئ فتعـود لتحـترق.. وهـل هذه رأس نبتَ لها مكان الشعر ثعابين؟!.. هـل مـا يطاردهـا جسـد أسد ضخم له رأس بشرية؟!..

لن يُزيد الراوي في الوصف، فلن ننسى أن هناك مـن لهـم مَعِـدٌ ضعيفات..

المهم أن كل هذا مرَ في لحظة واحدة، بدت لـ (الحظرد) كما لـو أنها ساعات أليمة.. لحظة واحدة، وجد نفسه بعدها في قاعة تشـبه كثيرًا التي كان فيها، مع اختلافات بسيطة..

ثم رأى الهول ذاته..

لقد قرأتم وصف (زلنبور) في صفحات مضت، وتخيلـتم شـكله، فمن الحق بمكان القول أنه كان أوسم وأكثر ملاحة مـن هـذا الـذي أمامه!!..

ما كل هذا السواد؟..

ما كل هذا القبح؟..

كأنما ليل بلا قمر قد تجسد!.. تبًا، إن كان هؤلاء أبناء (إبليس) فكيف به هو ذاته؟..

بالطبع - كما تعلمون - جاهد (الحظرد) كيلا يستطرد في أفكاره، وسارع بإنهائها قبل أن يَطَّلِع عليها (داسم).. لا أدري حقًا كيف يكون لتوارد الخواطر تأثير مثل الأصوات، لكن نستطيع القول أن كلماته حملت تأثيرًا عميقًا، كما لو أنه قادم من بئر لا قرار لها: "**هلا وغلا بك أيها الإنسي.. إني بما سمعت عنك لسعدت..** ".. رُغمًا عنه ارتجف (الحظرد) وهو ينحني، ثم يركع، ثم يسجد.. واستمع بكل الوجل في أعماقه..

"**تابعت نشاطك مع أخي (زلنبور) منذ البداية، وأدركت أن بشري مثلك لهو أحق بخدمتي أنا من (زلنبور) التافه** " شعر (الحظرد) بالعجب أن يدعو (داسم) أخاه بهذا.. "**لا تعجب يا (آبدولا)، فهذه حقيقة أخي.. إنه تافه، يتمتع بأكل البشر.. أو عبادتهم له كما لو أنه الإله.. يبدو أقرب إلى طفل لاهٍ عنه بابن الشيطان ذاته.. لهذا لم يبلغ شأوا قط، ولن يفعل.. صحيح أنه أحد أعضاء مجلس أبي، إلا أن منتهى قوته لا تبلغ مقدار أقل قوة باقي الأعضاء.. أما أنا..** "

سكت الصوت لحظات ثم استطرد بلهجة لم تخل من غلٍّ

واضح: "**أنا الأقوى.. أنا الأفضل.. أنا الأجدر بعرشـ..** "

صمت بغتة كما لو أن لسانه كاد ينزلق بما لا ينبغي..

صمت، وطال صمته..

وظل (الحظرد) على وضعه الساجد ينتظر، حتى أتاه الصوت..

"**اخرج الآن.. ولنا معًا شأن آخر فيما بعد..** "

نهض (الحظرد) وهو حائر، حريصًا على انحناءه وهو يتراجع بظهره - دون أن يتيقن من موقع الباب... ظل يتحسس المكان حتى وجده، فخرج.. كان في انتظاره رجل يتناسب تمامًا مع "ديكورات" المكان..

طويل جدًا، نحيل جدًا.. يرتدي ثيابًا سوداء، عليها عباءة أشد سوادًا، وقد ازدان بالقلائد والحُلي، له عينان نفاذتان بقوة كما لو تخترقان روح من أمامهما، وشارب رفيع طويل، ولحية تكاد تبلغ بطنه، وعلى رأسه عمامة ضخمة..

هل تذكر فيلم الرسوم المتحركة (علاء الدين والمصباح السحري)؟.. يمكنك تخيله ذاك الوزير الساحر الشرير.. إنه أقرب صورة تعبر عن الوصف!

أشار له (الساحر/ الرجل) بأناقة مبالغ فيها كي يتبعه، ففعل.

* * *

جنة على الأرض..

هذا ما دار ببال (الحظرد) عندما بدأ يتجول في المدينة ويتعرف عليها.. قال له الساحر، والذي يدعو نفسه (راسم) أن:

- لقد حاولنا أن نقيم من هذه الأطلال، مدينة جديدة.. صحيح أنها لا توازي القديمة التي قام ببناءها قديمًا (شدَّادٌ)، لكنها تؤدي الغرض.

سأله (الحظرد) عمن يكون (شداد) هذا؟.. قال (راسم):

- لقد كان من قوم (عاد) طوال القامة - حيث يصلُ طولُ الواحد منهم إلى حوالي الأمتار الستة.. وقد كان لـ (عادٍ) الأب ابنانِ هما (شدَّادٌ) و(شديدٌ).. فأخذا البلدة عنوة و بطشاً، ثم مات (شديدٌ) وبقي (شدادٌ)، فأكملَ غزواتهِ حتى سيطر على الدنيا فركع له باقي الملوك.

وكان (شدادٌ) ذا بطش شديد، يعبد الأصنامِ، ومولع بقراءةِ الكتبِ القديمةِ، وكلما صادفته كلمة الجنهِ ومواصفاتها أراد أن يتحدى الرب كُفراً وعِناداً، وأن يبني مثلها، فأخبر أمراءه "إني مُتَّخذٌ في الأرضِ مدينةً على صفةِ الجنة".

فأشار في بداية الأمرِ إلى مائةَ رجلٍ من قومه، وكل رجلٍ منهم يعمل لديه حوالي ألفُ شخص يساعدونه، وأمرَهم أن يبحثوا في أراضي اليمنِ، ويختاروا أحسنها تربةً، وأجملها هواءً، وزودهم

بالمال، وبعث إلى ملوكه يأمُرهم أن يكتبوا إلى وُلاتِهم في جميع أنحاء بلادهم، أن يجمعوا كلَّ ما في أراضيهم من ثروات الذهبِ والفضةِ، والدرِّ والياقوتِ، والمِسْكِ والعنبرِ والزعفرانِ، ويبعثوها إليه، وأمر الغواصين أن يستخرجوا الجواهرَ واللآلىءَ من قيعان البحار والمحيطات، فجمعوا له ثروة كبيرة ووفيرة.

ثم اختار أرضاً طيبة التربة، سهلةَ الهواء، فأمرهم (شدادٌ) بأن يبدأوا العملَ فيها لبناء جنته – التي يريد أن يحاكي بها جنة الرب - ووضع فيها كل الثروات التي جمعها، وبناها على أعمدة عالية شديدة تكاد تناطح السحاب وطلاها بالذهب، وأنشأ وادي ماء عذب تحتها، وأحاطها بسور من اللآلئ، وأنشأ فيها أشجار من الدر والمرجان والياقوت، واستغرق في بناءها أعوام عديدة جدًا، وعندما أرسل الرب هوداً ليدعوهم إلى الإيمان، كفر (شداد) وجحد ووسوس له (إبليس) أن يستمر في كفره.

وعندما علم بأن وكلائه انتهوا من بناء (إرم)، قام بأخذ موكب فخيم معه ليذهب إليها، وعندما قارب أن يصل إلى جنته تلك.. أخذته صيحة واحدة؛ فدمرته هو ومن كانوا معه، فلم يبق لهم أي أثر؛ فمات شداد..

وكان له ابناً مؤمناً بالرب - لم يقدر (إبليس) أن يغويه - يُدعى (مرثد)، قد خلفه أبوه على (حضرموت) ومُلكه وسُلطانه.. فأمر

باستخراج جثة أبيه من المفازة التي دفنه فيها قومه، وإحضاره إلى (حضرموت) لدفنه بها.. وحُفرت له حفيرة هناك، واستودعه فيها على سرير من ذهب، وألقى عليه سبعين حلة منسوجة بقضبان الذهب - حتى يثبت له بأنه لن ينتفع الآن بأي من الذهب واللآلئ - ووضع عند رأسه لوحًا عظيمًا من الذهب كتب عليه:

اعتبر - يا أيها المغـــرورُ بالعمرِ المديدِ - فأنا (شـدَّادٌ بـنُ عادِ) صاحبُ الحصنِ المشيدِ، والـذي ملكـتُ الشرقَ والغَـــربَ بســلطانٍ شديدِ، فأتى (هـــودٌ) وكُنَّـــا في ضلالٍ قبلَه، فدعـانا.. لو قَبِلنـا كانَ بالأمـرِ الرشـــيدِ، لكِنّا عصينـاهُ.. فنـادى: "ما لكم؟ هل من محيـدِ؟".. فـأتتـنا صيـحةٌ تهـــوي مـن الأفـقِ البعيـدِ، فتـوافَـيْنَـا كزرعٍ وَسْـطَ بيـــداءِ حصيـدِ.*

ساد الصمت عليهما برهة بعد أن أنهى (راسم) كلامه..

لو أن هذه البقايا التي أعاد الموجودين تجديدها بهذا البهاء، فكيف كان الأصل الذي أعده (شداد) إذن؟..

المباني ترتفع على أعمدة طويلة.. طويلة بالفعل..

لكن أكثر ما يثيره جنونه هو ذلك اللون الذهبي الذي يغطيها فيضفي إليها بهاء على بهاء!..

وهذه الزخارف البديعة المطعمة بالأحجار الكريمة!..

---

* كل ما جاء عن (إرم) و(عاد) مذكور بالفعل في الأثر.

وهذا النهر غير المكتمل الذي يجري!..

وتلك الشجيرات والكُرَم والنباتات ذات الألوان البهيجة!..

إنها بالفعل جنة على الأرض!..

ماذا قد يبغي المرء بعدها؟.. بل ماذا قد يوجد في جنة الرب المزعومة * إذن؟.. لعمره إنه سيبقى هنا طيلة العمر.. وليخدمن (داسم) أفضل مما خدم (زلنبور)..

المهم أن يكون له ما يريد!

* * *

سنين مرت على (الحظرد) في (إرم) يخدم سيده الجديد (داسم)..

أول ما استقر، وهَبَهُ الأخير واحدًا من أجمل البيوت العامرة، وهي بيوت مميزة قليلة، لا يملكها ويتمتع بها سوى المقربين من ابن الشيطان اللعين، على رأسهم (راسم)، والذي عرف (الحظرد) أنه اسمه الحقيقي (ديفيد بن آريا) لكنه غيره إلى (راسم) تيمنًا باسم سيده اللعين.. حركة نفاق لا بأس بها، ليست غريبة على (الحظرد) نفسه الذي بدل اسمه إلى (آبدولا) كي يحذف لفظ الجلالة منه، ابتغاء مرضاة (زلنبور)..

---

* لا ينس القارئ الكريم، أن (الحظرد) قد كفر وفقد إيمانه (والعياذ بالله).

كان له – (الحظرد)- ثلاثة غلمان يخدمونه، وسبعة حسان يلبين حاجياته المنحرفة، ومائة رجل من العبيد والخدم والحرس.. مال لا يستطيع إحصاءه، والبيت كما القصر بكل تلك النفائس والمفروشات التي لم يرها من قبل!

لقد وفَّى (داسم) بوعده، ووهب (الحظرد) ما لم يحلم به!.. كان أكثر سخاء وجدية من (زلنبور) بالفعل..

ولكنه أرهق (الحظرد) بأكثر مما فعل الأخير..

ذات مرة أمر (داسم) خادمه (الحظرد) أن يأكل معه من لحم فتاة حسناء!..

كان الأخير قد لبّى طلب الأول برؤيته، في وقت كان فيه يلتهم طعامه.. فتاة حسناء تسمرت مكانها دون حراك وكأنما مقيدة بخيوط وهمية وابن الشيطان يقتطع من جسدها ليأكل!!.. والمسكينة تصرخ.. وتصرخ.. دموعها أنهار تجري، واللعاب يسيل من شدقيها مع صراخها، وعينيها استدارتا بلهفة تستجديان (الحظرد) حين دخل وفوجئ بالمشهد.. ارتعد للحظة، فقد اعتاد أن يلتهم (زلنبور) وجباته بعد قتلها، ليس وهي حية!..

لكن (داسم) كان يعتبر الضحية الحية أشهى، وصوت صراخها "فاتحًا لشهيته"!..

ولقد أشار بيده إشارة ذات معنى لـ (الحظرد) أن شاركني!..

شـعر الأخـير بغثيـان.. كيـف؟.. لا يمكـن.. "***طباع أخـي سـيئة، صدقني..***".. مرأي النظرة التي أطلت مـن عينـي (داسـم) وإلقـاءه تلك القطعة من ذراع الفتاة - الذي كـان يلتهمـه - ذكَّـراه بتحـذير (زلنبور)، ودفعه أن يخـرج خنجـره ويقـترب بخطـوات وئيـدة مـن الفتاة المعلقة وأخذ يتحسسها بيـده حتـى اختـار قطعـة لينـة مـن فخذها مد خنجره فيها، وعلى صوت صرخاتها اقتطع من لحمها..

وأكل..

وفي اهتمام راقبه (داسم)..

وفي رضا..

ومع الوقت، ازداد الرضا.

* * *

3

كتاب الموتى

"- الآن يا آبدول"..

بهذه الكلمات، ابتدر ابن الشيطان (الحظـرد) حـين دخـل عليـه مساء تلك الليلة، واستطرد:

- حانت اللحظة التي كنت أعدك لها.

وفي خفوت وسكينة - كالعادة - أجابه الأخير:

- سيدي يأمر، وأنا أطيع.

ابتسم (داسم) برضا وهو يقول:

- طالع هذا الكتاب.

ثم أشاح بيده، فظهر إلى جوار (الحظرد) فجأة كتاب ضخم!..

لم يتوقف الحظرد ليفكر من أين جاء أو كيف ظهر، فإن (داسم) قواه لا تعجزه عن شيء..

وبالتأكيد فإن السحر لن يكون عسيراً عليه.*

تأمل (الحظرد) الكتاب بفضول وعجب.. انه يصل إلى طول الذراع ونصف الذراع *، وعرضه حوالي ذراع، وعدد صفحاته كثير جدا، ربما يقارب الألف صفحة!!..

مد يده يلمس الكتاب، فسرت في بدنه قشعريرة باردة، وأحس

يقول المولى عز وجل في القرآن الكريم: * قالَ أَلقُوا فَلمَّا أَلقَوْا سَحَرُوا أَعيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * سورة (الأعراف)– الآية (116)... وقد قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال موسى للسحرة: (ألقوا) ما أنتم ملقون! فألقت السحرة ما معهم، فلما ألقوا ذلك " سحروا أعين الناس " أي خيلوا إلى أعين الناس بما أحدثوا من التخييل والخُدَع أنها تسعى " واسترهبوهم "، يقول: واسترهبوا الناس بما سحروا في أعينهم حتى خافوا من العصيّ والحبال ظنًّا منهم أنها حيات " وجاءوا " كما قال الله " بسحر عظيم "، بتخييل عظيم كبير, من التخييل والخداع.. فالسحر المقصود هنا هو سحر أعين الناس، أي خداعها بمهارة، ولا يغيب عن القارئ الفطين أن كثير مما امتهنوا مهنة الساحر في الملاهي والتلفاز وغير ذلك هم يقومون بنفس الفعل.. الخداع.

* الذراع هو وحدة لقياس الطول، ويعتمد على طول الساعد: من المرفق إلى طرف إصبع الوسطى. وتم استخدام الذراع في العديد من القياسات في مناطق مختلفة من العالم في التاريخ القديم وفي العصور الوسطى وفي العصور الحديثة المبكرة. وعادة ما يساوي 18 بوصة تقريبًا أو 46 سنتيمترًا.

بأن الشعيرات على جسده قد انتصبت، فأبعد يده بحركة حادة وهو يتأمل الكتاب، ثم رفع عينيه إلى سيده متسائلاً!!

جاءه الصوت العميق مجيباً تساؤله غير المنطوق:

- هذا كتابي يا (آبدول).. عكفت عليه، وكلفت به أتباعي عبر السنين.. يحوي من العلم ما لم يعلمه أبناء (آدم) من قبل.. لقد أكملته وأريد أن أوكلك به.. أريدك أن تتعلمه وتنسخه وتنشره بين البشر..

بدأ صوته يكتسب نبرة كراهية عجيبة وهو يتابع:

- يجب أن يملكه كل إنسي.. يجب أن يستخدموه، وينفذوا ما فيه..

ارتفع صوته وعلت نبرة الغضب وهو يستطرد:

- هذا هو سبيل هلاكهم.. سيقتلون بعضهم البعض، ويزنون، ويسحرون.. سيفرقون بين الأزواج.. بين الإخوة.. سيسقطون من عليائهم إلى قعر الجحيم.

ارتعد (الحظرد) من صوت (داسم)، وارتجف.. **يا للهول!.. ما كل هذه الكراهية؟!..**

أتاه الصوت المخيف:

- بالطبع أكرههم..

زاد ارتجاف (الحظرد)، وقد نسي للحظة أن ابن الشيطان يمكنه أن يقرأ أفكاره..

أنصت باهتمام محاولا ألا يفكر..

- ما بين البشر وبيننا ليس بهين.. منذ خلق الله (آدم) وأمر أبي - أبي أنا - أن يقع له ساجدًا، ثم طرده من الجنة حين رفض.. البشر- أعدائنا، ولن نهدأ أو نقر عينًا حتى نطيح بهم ***..

ساد الصمت للحظة..

عاد (الحظرد) يمد يده إلى الكتاب - مقاومًا قشعريرته - وأمسك بالمغلف المصبوغ باللون الأسود، وهو يقرأ العنوان المكتوب

*** يقول المولى عز وجل في القرآن الكريم: قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (15) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (18) سورة (الأعراف)

وكذلك قوله تعالى: إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (78) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (80) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83) – سورة (ص)

بخط الثلث* وبشكل حسن وواضح: (أسرار الموتى).

قطب (الحظرد) حاجبيه وقد تعجب العنوان.. فتح المغلف وهو يتحسس الجلد المكون منه.. جلد عجيب.. لقد كان يهوى القراءة ولطالما وقع بين يديه كتب قديمة وجديدة من الجلد، لكن لم يجد فيها هذا الملمس العجيب.. **أي حيوان هذا؟..**

- انه ليس جلد حيواني.. انه جلد بشري.

أتاه الجواب من (داسم) فانتفض كما لو أصابته صاعقة.. نظر إليه بهلع، وهو يكرر:

- جلد بشري؟

أجابه (داسم):

- نعم.. لا يوجد أثمن من جلد البشر لهذا الكتاب.

استشعر (الحظرد) الكراهية مجددًا في الصوت، فلم يعلق.. طالع الكتاب وهو يمسك بالصفحات.. هذا رجل أكل لحم البشر، فهل يتقزز من ملمس جلدهم؟!.. جاءه صوت (داسم) يقول:

---

* خط الثُلث نوع من الخطوط العربية، ظهر لأول مرة في القرن الرابع الهجري. وهو من أشهر أنواع الخطوط المتأصلة من الخط النسخي، وسمي بهذا الاسم لأنه يكتب بقلم يُقَطّ محرّفًا بسُمْك ثلث قطر القلم، لأنه يحتاج إلى كتابة بحرف القلم وسمكه. وهو من أصعب الخطوط العربية من حيث القواعد والموازيين، وهو يمتاز بالمرونة ومتانة التركيب وبراعة التأليف.. يقسم إلى ثلاثة أنواع : 1.خط ثلث مفرق.2. خط ثلث وسط. 3.خط ثلث مشبك. إضافة إلى: •خط الثلث الجلي.• المحبوك.• الزخرفي.• المختزل. • المتناظر. • المسلسل.

- أريــدك أن تحمــل هــذا الكتــاب إلى ســكنك.. وأن تحميــه بحياتك.. أريدك أن تقرأه.. وبعدها سأخبرك ماذا أريدك أن تفعل.

ثم لوح بيده إشارة لانتهاء اللقاء، فانحنى له (الحظرد) ثم حمل الكتاب.. هذا الكتاب ليس خفيفًا..

كلما استمر في المشي كلما زاد لهاثه..

وصل أخيرًا إلى منزله، فأسرع نحوه الخدم ليحملوا عنـه حملـه، إلا أنه نهاهم وظـل محتضـنًا إيـاه، حتـى دلـف إلى غرفتـه فـأحكم إغلاقها وراءه، وألقـى بجسـده عـلى مقعـده الأثـير ليرتـاح ويلـتقط أنفاسه.. انتظر حتى هدأ واسترد بعض أنفاسـه، ثـم شرد ببصره إلى الكتاب.. تتصارع في نفسه المشاعر والأفكـار.. هـل يمكـن أن يـؤدي هذا الكتاب بالبشر إلى نهايتهم حقًـا؟.. وهـل يكـون هـو أحـد مـن تسببوا في هذا؟.. هل سيفعلها، أم لن تطاوعه نفسـه؟.. فـارق كبـير بين أن تبيع نفسك وأن تبيع البشرية كلها!..

غرق في أفكاره قليلاً حتى طرقت الخادمة الباب، وهي تقول:

- سيدي.. هل أحضر لك الغداء؟

نهاها ، فعادت تقول بدلال:

- ألا تريد مني أمرًا آخر؟

صرخ فيها بغضب أن تغرب بعيدًا، ففعلت عـلى عجالـة، وسـاد

الصمت..

وفي توتر نهض هو إلى الكتاب والتقط نفسًا عميقًا، قبل أن يجلس إليه ويبدأ القراءة.

* * *

في المخلوقات التى سبقت *

تم استخراج المعلومات التالية من بقايا جثث بعض المخلوقات الموتى، التى وجدناها في أماكن شتى من بقاع الأرض، وقيعان المحيطات، وقمم الجبال.. وقد استغرق جمع هذه المعلومات ما يقرب من السنين ألفًا من السنين ونيف..

---

* وقت كتابة الرواية، قال باحثون إنهم توصلوا إلى اكتشاف مخلوق كان يعيش على الأرض قبل الإنسان ومجموعة هائلة من فصائل الكائنات الحية. وقالوا إن العثور على هذا المخلوق جاء في إطار عمليات بحث عن حفريات، وإن حفرية المخلوق المكتشف كانت"محفوظة بعناية فائقة". ونشرت صحيفة نيتشر العلمية المتخصصة تفاصيل الاكتشاف وأكد البحث أن "ساكورايتوس"، وهو الاسم الذي أطلقوه على حفرية المخلوق المكتشف حديثا، ينتمي إلى فئة "ثنائيات الفم" التي كانت موجودة على الأرض قبل الكثير من فصائل الكائنات الحية، بما فيها الفقاريات. ولم يتمكن الباحثون من العثور على أدلة على وجود شرج لهذا الكائن، ما يرجح أنه كان يتغذى ويخرج من نفس الفتحة. وأجرى البحث فريق من العلماء الدوليين من بريطانيا، والصين، وألمانيا بقيادة كونواي موريس، الأستاذ بجماعة كايمبريدج. وقد قال موريس ل (بي بي سي) "من النظر بالعين المجردة، كانت الحفرية تتكون مما يشبه بعض الحبوب الدقيقة، لكن الكثير من التفاصيل ظهرت بعد الفحص المجهري." وقال ديغان شو،الأستاذ بجامعة شيان الصينية حيث وجد هذا المخلوق، إن " ساكورايتوس يوفر لما تصورا واضحا عن المراحل الأول المبكرة لتطور مجموعة الكائنات التي تحولت إلى أسماك ثم إلى بشر مثلنا." وهناك فصائل أخرى من الكائنات ثنائية الفم التي يرى العلماء أنها عاشت على الأرض منذ فترة تتراوح بين 510 و520 مليون سنة.

وهم على ترتيب ظهورهم ونشأتهم وتطورهم:

البِن - الحِن - الخِن - المِن - الدِن - السِن - الجِن

فأما **البِن**: بعد أن استقرت الأرض وبردت لحمتها ** تم خلق البِن و كانوا أول كيان عاقل غير مُكَلَّف... مخلوقات هي أقرب للمسوخ، بدائية التكوين، من أصل عضوي، لا تتكاثر جنسيًا بل ميتوزيًا من أصل الأرض، وذلك إما بقطع أجزاء منها، أو بموتها من خلال تساقط خلاياها على الأرض وتكوين مخلوقات جديدة بنفس الهيئة..

تبدأ على شكل الدودة العظيمة التي تسرع في النمو حتى تصبح على شكل كائن نصف قائم، ثم تتحول لتشبه القرد المنتصب إلى حد ما، لتهرم وتشيخ وتموت بعد ذلك وتختلط أجزاؤها بالأرض لتتحول إلى طين تخرج منه أعداد أخرى... وهكذا تتكاثر.

وأما **الحِن**: فكانت تجمع في تكوينها بين الطين اللازب** ولحاء الأشجار..

وكانت تنمو من قاع المياه المحملة بالطحالب، وأحيانا مختلطة بالنباتات الوعائية البرية السرخسية التي ظهرت في العصر

** كان ذلك - بحسب تقدير العلماء - في الزمن المسمى بالعصر البروتوزوي من حوالي 2,5 مليار سنة.

** اللازب: اللازق المتماسك

الباليوزي، وفي فترات العصر "الكاربونيفيروس" بشقيها وفترة"الديفونيون"..

وبمجرد أن تضع قدميها على الأرض كانت تتكاثر بسرعة رهيبة، وعند لمس المياه كانت تنمو جذورها لتكون مخلوقات مثلها أقوى منها حتى أصبحت عبئًا بسبب امتصاص المعادن من الأرض لتقوية جذعها الخشبي وكأنها تتطور فتكون لنفسها أطرافا تتحرك بها بدل الخشب اللحائي الذي تسير به.

ونقول في **الخن**: خُلقت من الطين واللحاء وصارت تتغذى على المخلوقات البحرية حتى صارت أجزاؤها تحتوي على مادة البروتين وهي التي ساعدتها على تكوين ما يشبه الغلاف الحيواني الأول؛ اذ اجتمع في تكوينها ثلاث عناصر وهي: الطين، واللحاء، والبروتين.. استمدتها من الكائنات العضوية الحية التي كانت تفترسها آنذاك - أي في العصر الباليوزي وبداية المايسورين - فأصبحت أقوى من البِن والحن.

وتعتبر مخلوقات الخن هي أولى المخلوقات التي تحتوى على الدماء والقادرة على التكاثر مثل الثدييات وكانت هيئاتها متغيرة وبعضها يشبه الزواحف الضخمة إلى أن ظهرت الديناصورات قبل 240 مليون عام ولم تستطع التعايش معها وقامت الديناصورات بالقضاء عليها.

ثم **المن**: تكونت من البِن الذي اختفى في الكهوف خوفًا من بطش الحن لكنها أضعف من سابقتيها الخن والحن على الرغم من ضخامتها وكانت لا تملك أعينا لكنها تكيفت مع بيئتها المظلمة فصارت لها القدرة على التحرك بسهولة في الأماكن شديدة الظلام معتمدة على مجسات متحركة في وجهها تتحسس بها طريقها..

كانت مخلوقات المن قادرة على التكاثر من خلال الانقسام الميتوزى مثل البِن أو من خلال التزاوج مع المخلوقات الأخرى عن طريق التلقيح الخارجي.

وعن **الدن**: بمثابة مخلوقات انتقالية، جاءت من المن وتطورت وأصبحت تمشى على أربع وتعتبر أولى المخلوقات الروحية التي امتلكت عقلًا* وتطورت لعدة مخلوقات أخرى في البحر والجو والأرض.

فتأتي **النس**: مخلوقات، يظن بعض علماء الأحياء القديمة بأنها أجداد الإنسان الأولى.. خُلقت منفصلة عن سابقيها.. وخلال خلق النس، خلق الله الجن.

وأخيراً **الجِن**: مخلوقات من النار التي تقتل.. لها خاصية التستر*** فلا تبين.. تعيش في ذات العالم ولكن لا يمكن رؤيتها

---

* يقول بعض الباحثين والدارسين أنها غير مكلفة بالعبادة

*** الاسم الجن من الفعل جن.. أي أستتر وغطى.. قولهُ تعالى في القرآن: (فلما جن عليه الليل)؛ أي سترهُ ظلام الليل وغطاه

عادة من غيرهم من البشر أو المخلوقات السابقة لهم، وهي خارقة للطبيعة التي تدركها الحواس..

لها عقول وفهم****.

* * *

**** يرى علماء الإسلام أنهم مكلفين وأن الصالح منهم سيدخل الجنة، والطالح سيدخل النار، مثلهم كمثل البشر تمامًا. من براهين ذلك:
قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (57) [الذاريات: 56-57].
وقوله تعالى: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31) [الأحقاف: 29-31].
وقوله تعالى: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩) وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَّنْ نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُّعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) [الجن: 1 -15].
وقوله تعالى: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا [الأنعام: 130].
وغير ذلك.

4

شيطان الإنس

تمطى (الحظرد) بقوة في مقعده - وقد شعر بالنعاس يهاجمه - وفرك عينيه، قبل أن ينظر إلى خارج نافذة الغرفة.. لقد أشرق النهار ولم يشعر بالوقت!..

نهض متثاقلاً إلى فراشه، فألقى جسده المنهك عليه، ولم يستطع أن يقاوم الدوار طويلاً، فغفا من فوره.

كان نومه أسودًا مثل نفسه المريضة، وجثمت الأحلام الثقال

على صدره، وقد ملأتها الوحوش المخيفة والصراعات الدامية، حتى أنه لم يكمل في نومه ساعات أربع، نهض بعدها والصداع يهاجم رأسه بمطرقة ثقيلة، فصاح على خادمه أن يأتيه بكوب القهوة، وظل على فراشه حتى شربه بنهم، ثم ظل مسترخيًا بعض الوقت..

بعدها صاح يطلب الغداء، فآتته به إحدى الجواري، فطعمه حتى شبع، ثم نهض إلى مقعده يطالع الكتاب من حيث توقف.

ومرت ليلة جديدة استغرق فيها الحظرد في القراءة بنهم وعجب..

حقًا لم يفت على الشياطين وأتباعهم شيء!..

لا السحر والقوى الخارقة للطبيعة.. ولا حكايات القدامى وأخبارهم.. ولا المدن العظيمة التي هلكت.. ولا المخلوقات.. حتى لقد تم تصنيف الكائنات من حول البشر.. لقد سجلوا كل شيء..

المشكلة هي أن كتابًا كهذا يحتاج إلى أسابيع كي ينسخ المرء منه نسخة واحدة..

فكيف يقوم هو وحده بهذا؟..

لا سبيل أمامه إلا أن يطرح السؤال على (داسم) عله يجيبه.

* * *

- هذان من عبيدي الجان.. يتقنان الكتابة والرسم.. وهما

سريعان، سيقومان بالنسخ تحت مراجعتك وإشرافك.

هكذا كان جواب (داسم) على (الحظرد) قبل أن يتابع:

- لكن احذرهما، فهما خبيثان لئيمان.. ولهما من الطموح ما كاد يوردهما تهلكتهما.

قطب (الحظرد) جبينه في تعجب، وحاول ألا يفكر في الجملة، وإن أنصت لـ (داسم) باهتمام وهو يتابع:

- لولا ثقتي في خضوعك يا (آبدولا) لما وكلتك بهذه المهمة، فلا تثير غضبي.. ولا تخيب ظني.

أكد له (الحظرد) على ولاءه وطاعته، فأمره (داسم) بالانصراف، فغادر يتبعه الجنيان.

أخذ يفكر طيلة الطريق في معنى طموح الجنيان الذي كاد أن يوردهما هلاكهما!!..

وصل إلى قصره وأدرك من اللحظة الأولى أن أحدًا غيره لا يرى الجنيان!.. دخل بهما غرفته وأغلقها بالمزلاج، واستدار يحدق فيهما.. لم تفته نظرات التخابث والتحاذق التي كانا يرمقانه بها، وهما واقفين أمامه في انتظار أوامره..

سار في تؤدة إلى مقعده فجلس، ومد يده يتلمس الكتاب، ورمقهما بطرف عينه، فلم يغب عنه ملامح التلهف على محياهما!..

ضاقت عيناه وهو يفكر في الأمر، قبل أن يلتفت إليهما فخفضا

عينيهما وهما مطرقين.. صمت لحظات قبل أن يقول ببطء متعمد:

- إذًا أنتما من ستخدمانني في هذه المهمة؟..

أومآ أن نعم، فتابع:

- ومن الواضح أنها مهمة تسركما كثيراً.

تبادلا نظرة سريعة، فهب واقفًا وهو يصيح بغضب:

- لا تتخابثا..

رفع أحدهما وجهه إلى (الحظرد) وقال:

- لقد أمرَنا (داسم) بخدمتك وطاعتك، وسنفعل يا سيدي.. لن نفعل غير هذا.

- ماذا تريدان من الكتاب؟

رفع الآخر رأسه في هدوء وقال:

- أن ننسخه.

صاح (الحظرد) بغضب:

- أيها الحقير.. قلت لا تتخابثان عليَ.

نظر إليه الجني في تحد واضح، على حين هتف الأول:

- سيدي.. نحن لم نسعى لهذا الأمر، بل كُلفنا به.. ونحن لا نستطيع أن نخالف أمراً للشيطان أو أبناءه.. لو شئت اخبر سيدنا (داسم) أنك لا تريدنا، وسنغرب عن وجهك إلى الأبد.

ظل (الحظرد) مركزًا بصره على الآخر، ثم التفت بحركة حادة وهو لا يزال على غضبه، وأمسك طرف رداءه بيده وهو يعود لمقعده، فجلس عليه مفكرًا لدقائق..

لا يستطيع أن يقول لـ (داسم) أن يعيد الجنيين.. لا يستطيع أن يخالفه.. لا يستطيع أن يفعل.. كما أنه - وهذا هو الأمر الأهم - يشعر بأن لهذين الحقيرين هدفًا ما.. هما يريدان الكتاب.. يريدان ما فيه.. لكن لم؟.. وبأي استفادة؟.. التقط نفسًا عميقًا سيطر به على أعصابه، قبل أن يسأل الجني الأول:

- ما اسمك؟

أجابه الجني وهو ينحني في تزلف واضح:

- (مازر).. ابن (ساخم).. من نسل الملك (مانوخ) الأسود.

استدار (الحظرد) ينظر للآخر دونما سؤال، فقال:

- اسمي (ظام).. من نسل (ظام) الكبير.

مط (الحظرد) شفتيه وهو يقول:

- لا أسمائكم ولا نسلكم يعني لي شيئًا *.

ابتسم الجني الثاني بسخرية مستترة وهو يقول:

- إذن فأنت لم تقرأ الكتاب كاملاً بعد؟

---

* الأسماء وردت في الأساطير، لكن لا يوجد لها سند تاريخي أو ديني.

نظر إليه (الحظرد) بحنق، ثم قال - وهو يتجاهل السؤال:

- أخبراني عنكما أكثر.

نظرا لبعضيهما لحظة، قبل أن يقول الجني الأول:

- أمر سيدي ومولاي.. إن الملك (مانوخ) الأسود – جدي الأكبر- واحد من هيئة الجن الكبار التي تكونت من ثلاثة عشر جنيًا، كل منهم ملك على أمة من الجن.. هذه الهيئة يشرف عليها أبناء ملكنا (إبليس).. هم القادة الكبار ويأتمرون بأوامر الشياطين ويكلفونا نحن معشر الجن أن نفعل ما يبلغوننا به..

أما (ظام) فهو الحفيد الأكبر لأحد خدام الملك (سليمان)*، وقد

---

* نبي الله (سليمان بن داوود) – عليهما السلام – بالعبرية: شلومو - بالإنجليزية Solomon - وهو أحد ملوك إسرائيل حسب الوارد في سفر الملوك الأول وسفر أخبار الأيام الأول وحسب التلمود، وهو أحد الأنبياء الثمانية والأربعين وثالث ملوك مملكة إسرائيل الموحدة قبل انقسامها إلى مملكة إسرائيل الشمالية - وهي المملكة التي بقت تحكمها قبائل إسرائيل الإثنا عشر - ومملكة يهوذا في الجنوب - والتي حكمها أبناء قبيلة يهوذا وهي القبيلة الوحيدة الباقية من القبائل الإثنا عشر حسب كتابات اليهود.
الظن أنه عاش عليه السلام قبل ما يقرب من ألف عام من مولد السيد المسيح عليه السلام، وتوفى عن عمر 52 و اشتهر بحكمته وثرائه ومُلكه الكبير. ارتبط اسمه بعدد من القصص الشهيرة ذات المغزى، مثل لقاءه مع ملكة سبأ، ومروره بوداي النمل، ووفاته دون أن يعلم الجن فظلوا يعملون.
أحد أنبياء الإسلام وذُكر في سور سبأ وص والنمل وسورة البقرة والأنعام - مع اختلافات عن جوانب القصص العبرية التي أساءت إليه(!!) - وتأكيد للحكمة والثراء والمُلك الذي لم يؤت أحد مثله. وحسب القرآن، فإن سليمان تعلم "منطق" الطير والحيوانات والحشرات وله جن وعفاريت مسخرين لخدمته وطاعته.

كان واحـدًا مـن أشـد العصـاه الـذين سلسـلهم (سـليمان) الحكـيم وعاقبهم بالعمل الشاق، فظل يعمل دون أن يـدرك وفـاة النبـي إلا بعد أن أكلت الأرضة* عصاه **..

ولقد تعارفنا أنا و(ظام) منذ أكثر من مائتي سـنة خلـت، ولقـد جمعنا طموح سخيف أن نـتخلص مـن عبوديتنـا للشـياطين.. ولقـد تمت معاقبتنا لهذا بشتى وسائل العقاب، حتى جاء بنـا (داسـم) إلى هنا كي نخدمك - بعد أن رُفع عنا العقاب أخيراً.

غمغم (ظام) بشيء لم يتبينه (الحظرد)، فسأله بصرامة:

- بم تبرطم يا هذا؟

أسرع (مازر) يقول:

- لا شيء يا سيدي.. انه..

قاطعه (ظام) قائلاً بغضب واضح:

- بل أقول: جاء اليوم الذي يخضع فيه الجن لبشري ويخدمونه.

تحجرت ملامح (الحظرد)، فأسرع (مازر) يتابع تزلفه بقوله:

- لا عليك يا مولاي، انه فقط...

---

* هي دابة الأرض، كالنمل الأبيض والدود.

** يقول تعالى: فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14) – القرآن الكريم – سورة سبأ .

أوقفه (الحظرد) بإشارة من يده، وساد الصمت مجددًا قبل أن ينهض (الحظرد) من مقعده، ويقول لـ (ظام) بصوت مخيف:

- ستنحني لي.. ستنحني وتطيعني في كل أمر.. ستفعل وإلا ستلقى من العذاب ما لا تتخيل.. أنت ملكي بأوامر (داسم)، وأنا أعرف جيدًا كيف أحكم ممتلكاتي..

ثم مال عليه حتى كاد وجهيهما يلتصقان، وهتف بغتة:

- هل تفهم؟

ارتعد كلا الجنيين وأحنى (ظام) رأسه في خضوع لم يخل من مقت وهو يقول:

- أفهم أيها الـ.. السيد..

هنا انطلقت ضحكة مجلجلة أثارت الرعدة في أوصال الجميع..

ضحكة مخيفة، بدت وكأنها تأتي من كل مكان في الغرفة..

وتعالى صوت فاق - في كراهته وعمقه وبشاعته - كل ما سمعه (الحظرد) من قبل.. قال:

- أحسنت يا بن (آدم).. لقد أجدت سيطرتك - حتى الآن - عليهما.. لكن يمكنك أن تنسى- أمر انحناءهما أمامك هذا.. لم أنحني أنا أمام (آدم)، ولن يفعل أحدنا حتى قيام الساعة..

ارتعد (الحظرد) وهو يتلفت يمنة ويسرى بفزع رهيب.. هذا

هـو.. هـو بنفسـه.. انـه.. **نعـم.. أنـا (إبلـيس)**.. انهـار (الحظـرد) والجنيان، فسقطوا أرضًا وحرارة رهيبة ترتفـع في الغرفـة، والصـوت يكمل بغضب ومقت:

- لا تغتر بنفسك، وتـذكر.. أنـت هنـا فقـط لأنـك لعبـة أبنـائي الجديدة.. فلا تتعد حدودك أيها الإنسي الحقير.. لديك مهمة عليك أن تقوم بها، وإلا فستحيا أنت في جحيم لا تتخيله.

ساد الصمت بعد الكلمات الأخيرة، وبـدأت حـرارة الغرفـة تقـل تدريجيًا، إلا أن ثلاثتهم لم يجـرءوا عـلى رفـع رؤوسـهم، ولم تتوقـف أجسادهم عن الارتعاد.

* * *

بهمة ونشاط شديدين، أمضى (الحظـرد) والجنيـان وقتًـا طـويلاً وساعات عديدة في نسخ الكتاب..

وكلما نسخوه، ازداد لهف الأول للمزيـد مـن القـراءة والمعرفـة، ونما الطموح بداخل الآخرين أكثر فأكثر..

حتى جاءت ليلة من الليالي التي اعتاد فيها (الحظـرد) الـذهاب إلى سيده (داسم)، فجاءه صوت الأخير به نـبرة رضـا واضـحة، وهـو يقول:

- أحسنت يا (آبدول).. أبي أثنى عـلى اختيـاري لـك.. قـال: هـذا إنسي بلا خلاق، سيتم المهمة.

انحنى (الحظرد) أكثر وهو يقول:

- أنا خادم مولاي.

ابتسم (داسم) بسعادة وهو يقول:

- اطلب ما تشاء.

التمعت عينا (الحظرد) وهو يسأل:

- مولاي؟!!

- اطلب ما تشاء.. أيًا ما تريد، سأحققه لك كمكافأة لك.

صمت (الحظرد) للحظات، ثم قال:

- لو سمح لي سيدي، فأنا أريد أن تكون لي قدرة التحكم في الكائنات الأخرى.

اعتدل (داسم) في مقعده بحركة حادة، وهتف:

- ماذا؟..

ارتعد (الحظرد)، وأنصت باهتمام لابن الشيطان يتابع:

- هذا مطلب لم أظن أنك ستسألني إياه يا (آبدولا).

- لقد راق لي الأمر – أي سيدي ومولاي – ولو أتيحت لي تلك القدرة، لأسخرنهم في خدمة الشياطين، وتعكير صفو حياة البشر، والعمل على إهلاكهم.

صمت (داسم) قليلاً وهو يحدق في وجه (الحظرد) محاولاً

استكشاف ما يدور بباله.. وقد كان الأخير مدركًا لهذا فسمح له بأن يتجول بين أفكاره وخيالاته المريضة، ليؤكد له الأمر..

ساد الصمت حتى قال (داسم):

- لا بد أن أستشير أبي في هذا الطلب..

ارتعد جسد (الحظرد) وقد تخيل - مجرد تخيل - وجه الشيطان وهو يستمع إلى هذا المطلب، وهم بأن يفتح فمه، لكن بدا وكأن أبواب جهنم قد فتحت..

عصفت رياح ساخنة بالمكان، واشتعلت نيران وراء عرش (داسم)، وارتفع الصوت الكريه العميق قائلاً:

- هل هذا ما تسعى إليه حقًا يا ابن (آدم)؟

فعلاً لا مجازًا، بال (الحظرد) على نفسه، على حين ألقى (داسم) بجسده أرضًا وهو يسجد هاتفًا:

- أبي..

جاء الصوت:

- أحقًا يا ابن (آدم)؟

ارتعد صوت (الحظرد) كما حاله هو نفسه وهو يجيب:

- بـ.. بلى.. بلى أيها العظيم الجبار*.. بلى..

---

* (العظيم) و(الجبار) – مع (الـ) التعريف - من أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته عز وجل، ولا يجوز أن تطلق على غيره، لكن لا ننسى أن (الحظرد) كفر.

أجابه الصوت الكريه:

- لئن لم تفعل ليمسنك مني عذاب أليم.. أسمح لك أن تتعلم وتحفظ وتُتقن تلك القدرة، والكتاب لديك.. وسأترقب ما تحققه.

عاد الصمت يسود المكان، وانطفأت النيران، وهدأت الحرارة، فانتصب (داسم) وجلس إلى عرشه مغمغمًا:

- ويلك يا (آبدولا).. لقد استرعيت انتباه أبي حقًّا.. وهذا - لعمري - أسوأ مما تظن.

لم يعد في جسد (الحظرد) أي طاقة تمكنه حتى من الارتعاد أو النطق، فانتظر بفارغ الصبر أن يأذن له (داسم) بالانصراف، الذي ما إن فعل حتى جر هو أقدامه جرًا ليغادر المكان.

* * *

5

جحيم الأرض

كان نهم (الحظرد) للمعرفة كبيراً.. كانت رغبته عاتية في أن يسيطر على تلك الكائنات القديمة.. أخذ يدرس أماكنها القديمة، والجهات التي ارتحلت لها، ولغاتها، ونقاط ضعفها وقوتها..

شهوراً عديدة مضت، لم يدرك أنها مرت عليه، وأهمل حوانيته وتجارته، وكان يلبي موعد (داسم) على مضض، مبشراً إياه بأن الأفضل قادم، وأنه لن يخيب ظنه..

حتى جاء اليوم الذي شعر فيه بأن معرفته قد اكتملت..

أغلق الكتاب الضخم، ومد يده يتحسس مجموعة من الأوراق إلى جواره.. كانت هي عمل حياته..

تلك الأوراق، لخص فيها كل ما جاء عن الكائنات القديمة.. كل ما يهمه ويسمح له بالوصول إليها والسيطرة عليها..

ومن موقعهما البعيد، جلس الجنيان (ظام) و(مازر) يراقبانه كعادتهما.. تبادلا النظرة السريعة إياها، قبل أن يغمغم (مازر):

- هل انتهيت أيها السيد؟

أدار (الحظرد) رأسه إليه ببطء، وحدق فيه بنظرة شاردة، فقال (ظام) بعصبية:

- لدينا ما نود أن نحدثك بشأنه.

بدت من (الحظرد) حركة تشير أنه قد انتبه إلى وجودهما الآن فقط!..

- ماذا تريدان؟

أسرع (مازر) يقول بلهجته المتزلفة:

- يلوح لنا أن سيدنا قد أوشك على إتقان علوم الكائنات..

نهض من مجلسه واقترب في حذر من (الحظرد) وهو يشير بإصبعه على شفتيه علامة عدم الحديث، ويخرج من طيات ثوبه

ورقة ملفوفة بعناية، وهو يتابع:

- وهذا يعني بدء مخططه لخدمة سيدنا الأكبر ومولانا القوي (إبليس) العظيم..

فرد الورقة أمام (الحظرد) وهو يتابع كلامه مشيراً إلى الورقة كي يقرأها، فالتقطها (الحظرد) بحيرة وحذر، وأخذ يقرأ..

"لا تتحدث عما فيها، فالشيطان قد يكون حاضرًا - ولا نراه- يتنصت علينا.. لو صدق ظننا فإن لك مأرب غير ما أعلنته للشيطان.. نحن كذلك.."..

رفع (الحظرد) عينيه إلى (مازر) الذي عاد يشير إليه محذرًا، فواصل القراءة، على حين استمر الجنيان معًا في حوار مفتعل:

"لقد تم عقابنا لأننا رغبنا في علوم القدماء والسيطرة على الكائنات.. هم قادرين - تحت قيادة موحدة - على عزل الشيطان، وهز عرشه.. إن شئت كنا خدامك الأوفياء وتابعيك المخلصين.. سنكون يدك التي تبطش بها.. فقط اعطنا تلك الفرصة، وسترى.. أفضل لنا أن تحكمنا أنت، من أن نحيا تحت وطأة حكم الأبالسة"

رفع إليهما عينيه، فاختصرا الحديث المفتعل وصمتا، فأسرع يقول:

- أنا أحتاج الآن إلى النوم.. ارحلا وسأطلبكما فيما بعد.

انحنيا أمامه، ثم اختفيا.. تلتفت حوله في قلق.. ما يدريه أنهما قد رحلا بالفعل؟.. تبًا للجان وأفعالهم.. التقط أوراقه التي دونها، ولفها بإحكام ثم دسها في جيب ثوبه، وذهب بالفعل إلى فراشه..

إلا أنه تذكر الرسالة، فدسها هي أيضًا مع الأوراق، ثم ألقى بجسده إلى فراشه.

* * *

أي نوم يمكن أن يناله ورأسه مشغول هكذا؟..

انه بالفعل يدبر لمؤامرة كما توقع الجنيان.. يريد أن يسيطر على الكائنات القديمة، فتحميه من الشيطان -وربما تزيله عن عرشه- ليحكم هو الدنيا بأكملها، دون خوف من (داسم) ولا (إبليس) نفسه..

ستكون له القوة المطلقة، والسيطرة الكاملة..

بل ستدين الدنيا كله بدينه هو، وتعبده هو..

فأي نوم يأتي وسط ذلك الصراع الفكري؟..

بل وزاد عليه مكر هذين اللعينين (ظام) و(مازر).. بل وما يدريه أن (إبليس) لم يصل لنفس الظن؟.. **لئن لم تفعل ليمسنك مني عذاب أليم..** يا للأفكار السوداء، تصطرع بداخله.. **لئن لم تفعل ليمسنك مني عذاب أليم..**

لئن لم تفعل ليمسنك منـ.. تبًا.. نهض من فراشه محتقنًا مرتعبًا.. الشيطان لا يعرف الرحمة.. ليست في قاموس مفرداته.. سينكل به لو اكتشف الأمر..

لا، لا.. لن يفعلها.. سيبرهن على ولاءه ويسيطر على الكائنات، ويخدم بها الشياطين..

لا، بل سيهلك الشياطين..

ماذا يفعل؟.. اللعنة.. اللعنة.. أصبحت لديه المعرفة، وستليها القدرة، وهو عاجز عن اتخاذ قراره!!

* * *

" فيم تفكران؟"

هكذا كتب صبيحة اليوم التالي في ورقة، وإلى جواره (ظام) و(مازر).. فكتب الأول *"الصبر"*

كتب (الحظرد) :*"افصح يا لعين!!.. ماذا تعني؟"* .. كتب (مازر): *"أن تتقن السيطرة أولاً وأن تخدم خلال ذلك (إبليس) بالفعل حتى يطمئن لك ويصرف رقابته عنك.. وفي ذلك الوقت تكون قد كونت جيشًا وليس شرذمة.. عندها تنقض عليه هو أولاً وبعدها سيصبح لك حكم الدنيا يسيرًا"*.. نعم الرأي.. هكذا سيفعل..

وهكذا فعل..

سار على هـذا الـنهج، فـأتقن العلـوم والمعـارف أولاً، ثـم أرسـل الجنيـان (ظـام) و(مـازر) في إثـر بعـض الكائنـات، وعلمهـما كيـف يسيطران عليهم..

وبعد فترة قصيرة، عادا ومعهما ما يقرب من الخمسـمائة كـائن من مختلف الأنواع، كلها صاغرة طائعة، مرتجفة..

تقف أمامه ذليلة..

ولقد أمده هذا بشعور عظيم..

وبكل قسوة، وبكل الطمع الكامن في نفسـه لإرضـاء الشـياطين، أمرهم أن يهجموا على مدن وقرى ويخربوها..

وفعلوا..

اسـتيقظ النـاس الآمنـين مـن نـومهم ذات ليـل أسـود، ليجـدوا أطفالهم يذبحون وبيوتهم تهدم وخيـامهم تحـرق وزرعهـم يهلـك.. أشياء تطير دون أن يروا سببًا.. كائنات مخيفة سوداء بشعة لا يمكن تفسير ماهيتها تحيط بهم..

ومن بقي منهم حيًا تم اقتيادهم وهم جرحى يعـوون إلى أرض عظيمة ليبنون فيها من المعدن أسوارًا عالية متينة..

وبدأت الأخبار تنتشر من قرى إلى مدن إلى بلاد..

وكلما كبر جيش الكائنات، كلما سقطت بلاد وهلك بشر، وعظم البناء المجهول..

وبلغ (الحظرد) سعادته حين وقف بين يدي (داسم) والنيران مشتعلة خلف عرشه..

إذن، فإن (إبليس) هنا.. (إبليس) الذي جاء صوته العميق قائلاً:

- أحسنت يا ابن (آدم).. لقد أذقت بني جنسك من الويلات ما لم يأتيهم في أحلك كوابيسهم!.. لم أتوقع أن يأتي هذا الدمار منك.

كان (الحظرد) ساجدًا فقال بسعادة حقيقية:

- أطرب لكلامك هذا يا سيدي.

- أخبرني.. لقد أهلكت أرضهم ونسلهم وخربت ديارهم وقتلت أكثرهم.. ماذا تفعل بهؤلاء الأسرى؟

- جحيمًا يا مولاي.

كانت أغرب إجابة يمكن أن يسمعها الشيطان، وقد بدا ذلك حين رفع (داسم) رأسه إليه بحركة حادة، على حين جاء صوت الشيطان مليئًا بالدهشة:

- جحيم؟

أجابه (الحظرد) دون أن ينهض من سجدته:

- نعم يا مولاي.. جحيم.. هذه الأرض الشاسعة التي هُم فيها

ستمتلئ بهم عما قريب.. والسور أوشك أن يكتمل.. سأجعلهم يشعلون بأيديهم نيرانًا عظيمة، يراها المشرق والمغرب، وتلفح نيرانها الأرض كما لو كانت الشمس، ويتلظون بها حتى يموتون محترقين.. وكلما هلكوا ستأتي الكائنات بالمزيد منهم.. والمزيد.. وسيدفع البشر ثمن ذنب (آدم) في حقك.

صمت..

صمت ثقيل، ثقيل..

صمت ساد طويلاً، حتى أن (الحظرد) ظن أنه فقد السمع!..

وأخيراً جاء صوت (إبليس) وهو يقول:

- انهض.

رفع (الحظرد) رأسه ليهم بالنهوض، فصعق مما رأى.. لم يجئ الصوت وحده، بل مع صاحبه ذاته.. لقد تجسد اللعين في المكان، وهاهو ذا يقف بقوة..

كالخنزير هو.. رأسه كالبعير، وصدره كسنام الجمل ووجهه كوجه القردة.. عينيه مشقوقتين في طول وجهه، ومنخريه مفتوحين.. شفتيه كشفتي الثور وأنيابه كأنياب الخنزير، وله في لحيته سبع شعرات* منفرات..

---

* الوصف للإمام الغزالي

تجمد (الحظرد) في سجدته، فلم يلبي أمر (إبليس).. لم يستطع.. لقد اكتنفه الرعب والفزع.. فقط (داسم) هتف بلغة غريبة كلمات لم يلتقط منها الأول أي حرف أو معنى.. على حين أخذ الشيطان يجول حوله في دائرة..

- لم؟

سأل الشيطان..

- لم ماذا يا سيدي؟

كاد (الحظرد) يبكي وهو يسأل بدوره.. وأصغى باهتمام للشيطان وهو يقول بحزم:

- لم اخترت أن تفعل هذا ببني جنسك؟

- من أجلك يا سيدي.

ابتسم الشيطان بسخرية، وقال:

- أتظنني أحمقًا أيها الإنسي الحقير؟..

ارتعد (الحظرد) وأمسك أفكاره بحرص شديد، وهو يقول:

- عفوًا مولاي.. محال، محال.

انحنى عليه الشيطان بشدة، حتى لفحت أنفاسه الحارة وجه (الحظرد) فأحس أن ملامحه تذوب، وأكمل الإنصات:

- هل تُهلك كل هؤلاء وتذيقهم مر عذاب لم يجل بخاطري أنا

نفسي، من أجلي؟

أجاب (الحظرد) بدون تردد، وبصدق:

- بالتأكيد.. أنت أعطيتني الحياة الرغيدة وهناء العيش والقدرة والقوة.. هم سخروا مني على الدوام وطـردوني وشـتتوني.. مـن أولى بي يا سيدي؟.. هم؟.. كلا وألف كلا.

حدق الشيطان في عينيه لحظات - وقد وجد الصـدق في كلامـه لا ريبة فيه - ثم تراجع ناظرًا إلى ابنه..

ثم قهقه..

كانت قهقهة عالية مجلجلة كأنها مجموع أصوات ذئاب وضباع وحشرات وأجراس اختلطت ببعضها البعض..

وجاوبه ابنه الضحك..

وكان مزيجًا كفيلاً بأن يلقي الرعب في قلوب أشـد الرجـال بأسًـا وصلابة..

* * *

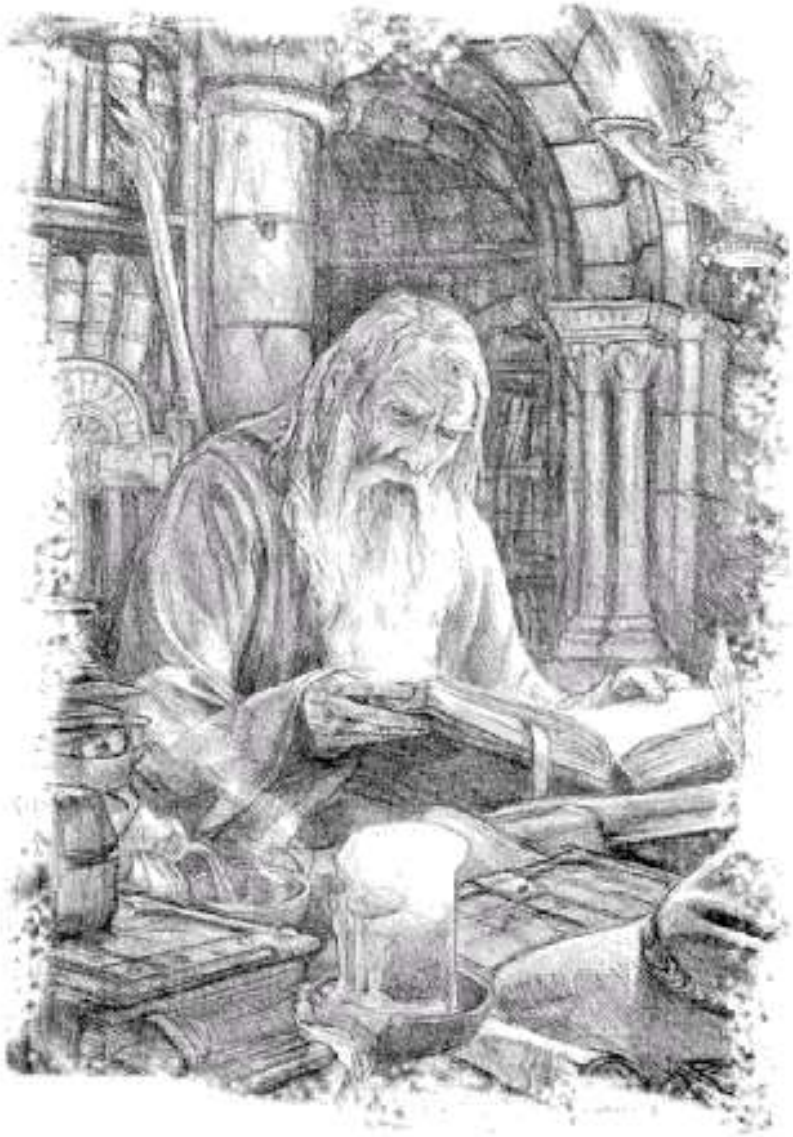

6

هويا باكيو من جديد

فعلها المجنون*..

لم يشعر بالألم أو تأنيب الضمير وهو يلقي - كل يوم- بالمئات من البشر في جحيمه الصناعي.. وبالفعل، كان المشرق والمغرب يريان وهج النيران وأدخنتها من على مسافات شاسعة!..

وكان الشيطان يهنأ بالاً كلما مرت الأيام وبني (آدم) يزوقون

---

* عُرف (الحظرد) بالفعل فيما تم تداوله عنه من معلومات قليلة غير مثبتة بلقب (العربي المجنون) وطوره البعض (الشاعر المجنون)

الويلات على يد واحد منهم..

ومُذ ذاك اليوم، استقرت مكانة (الحظرد) وحظي بثقة الشيطان وعشيرته..

وأتقن (الحظرد) سيطرته على الكائنات، وصار يضم - كل ساعة- المزيد منهم..

والمزيد..

ولم يكن ليكتفي.. كان يخشى أن تكون الغلبة للشياطين، فأصر على أن يزيد حجم جيشه المريع كي يضمن النصر..

وكعادة كل خسيس متآمر، عندما اقترب الوقت الذي قدره، التقى بـ (داسم) وسلمه الورقة التي كتبها له الجنيان أول مرة.. وكانت دليلاً دامغًا على خيانتهما للشيطان، لا يحتاج حتى إلى تفسير.. وتصور الأخير - حسبما قال له (الحظرد) - أن الرسالة أعطيت له بالأمس القريب..

ولم يصدق - بطبيعة الحال - كلام الجنيان، بأن **(الحظرد) ضليع في المؤامرة، وهو الزعيم**.. وأمر بإلقائهما في جحيم (الحظرد).. ذاك الجحيم الذي وضعا له هما نفسيهما حجر الأساس!..

وهكذا، ظلا يصرخان ويستمطران اللعنات على (الحظرد)، وجسديهما يذوبان رويدًا رويدًا مع أجسام البشر المساكين..

وتنفس (الحظرد).. الأمور تسير معه على خير ما يرام..

وقريبًا.. قريبًا جدًا.. سيقود جيوش الكائنات في حرب عاتية ضد الشياطين..

حرب ستنتهي عند عرش (إبليس) نفسه..

ومن أعماقه المظلمة، انطلقت ضحكة نصر واثقة.

...

بدا الحظرد - هذه الفترة - على أفضل حال له عبر حياته كلها..

كانت سيطرته تامة على الكيانات التي جندها.. أسكنها أرضًا خربة شاسعة، خارج أطلال المدينة الملعونة.. أقام عليها حراسًا من الشياطين التابعين لـ (داسم)، لكنهم صاروا يأتمرون بأمره هو ويطيعونه في كل ما يريد..

وكانت الكيانات عديدة الأنواع، وكلها تحمل لبعضها البعض البغضاء المتوارثة، فكان من الطبيعي -على كثرة عددهم الذي لا تسعه أرض احتجازهم- أن يحدث بينهم وبين بعضهم قتال شرس، تتدخل شياطين الحراسة لفضه بقسوة وعنف..

وفي كل يوم كانت ثروة الحظرد تزداد، ومعها تزداد شراهته، وطمعه ينمو.. وانغمس أكثر وأكثر في حياة المجون، والفساد..

بل وأصبحت وجبته المفضلة هي طعام البشر*، حين يتوله مع (داسم) كل سبت أول من كل شهر - كما هي العادة..

ولأن دماء الشيطان تسري في جسده، فقد كان طبيعيًا ألا يتأثر بهذه الحياة كتأثر البشر العاديين.. فتلك الخمر كانت جديرة بأن تفسد أكباد رجال أشداء.. وذاك السهر كان كفيلاً بأن يضعف أقوى الأجساد.. تلك الولائم كانت لتسحق أقوى الأمعاء.. وذلك الانغماس في الملذات والشهوات مع النساء - وغيرهن - بكافة أنواع الانحراف، كان ليقهر ذاك الجسد النجس، بأفتك أنواع الأمراض والفيروسات التي أهلكت وستُهلك العديد من البشر..

وفي تلك الليلة، وقد تجرد (الحظرد) من ثيابه - في مشهد لا يسر الناظرين - ورقد من حوله عدد من جواريه وغلمانه - حالهم

---

* أكل لحوم البشر أمر معروف وشهير باسم (كانيبالزم) cannibalism وترجمتها (أكل لحم الجنس ذاته).. وهي كلمة مشتقة من كلمة (كاريب) الأسبانية التي تصف قبائل (كاريب) الهندية، التي تحدث عنها المستكشف كريستوفر كولومبوس.. تم أكل لحم البشر عبر التاريخ في عدة مواضع وحالات مثل:
1- أثناء المجاعات - 2- المدن المحاصرة - 3- بعض القبائل البدائية - 4- كنوع من المبالغة في إيذاء العدو - 5- الاعتقاد بأن أكل لحم الأعداء ينقل قدراتهم - 6- كأحد الطقوس الدينية أو طقوس الدفن - 7- كمرض سلوكي جنسي - 8- نوع من التكريم للميت، مثلما تفعل بعض القبائل في نيوزيلندا.... وقد وجد الأثريون عظاما بشرية في أوعية طهي عمرها نصف مليون عام في الصين، ومن أشهر القبائل التي أشتهرت بهذا النشاط قبيلة (أناسازي) في أمريكا الشمالية.. وفي العصر الحديث واقعة شهيرة جدًا، حيث إضطر الناجون من حادث الرحلة 571 لسلاح الجو الأوروغوياني بأكل لحم المتوفين من ضحايا الحادث وقد إعتزلوا لمدة 72 يومًا في جبال الأنديز.

مثل حاله - شرد ببصره وهو يفكر فيما هو قادم..

لقد أكد له جنده الملاعين من جن وشياطين ومردة - كافرين مثله - أن جميع المخلوقات في المعمورة قد أصبحت تحت سيطرته، ولا يستطيعون أن يجدوا منهم المزيد..

هذا يعني أن جيشه صار أكبر مما يمكن أن يحصيه..

وهذا يعني أيضًا أنه يستطيع أن يبدأ حربه الخاصة مع الشيطان..

وأبناءه..

وتابعيهم..

سيتولى بنفسه التحكم في المخلوقات، ويجعلهم يفتكون أولاً بحراسهم من الشياطين، ثم يهجم بهم على (داسم) وجنده، فيقوم بتأمين (ارم) بعدها، لتصير مركز حكمه وقيادته..

ومنها تنطلق المخلوقات للبقاع الخمس التي يحكمها أبناء الشيطان في الأرض.. لا بل أربع فقط.. **لا تنس أنك ستتخلص من (داسم) هنا، ولعمري هو أخطرهم..** هكذا تمتم، فرفعت جاريته الأثيرة رأسها عن ذراعه، متسائلة بصوت ناعس:

- ماذا يا مولاي؟

انتبه لغفلته، فقال بعصبية:

- لا شيء.. عودي لنومك.

ثم هب من رقدته، فأسقط أخرى بيده، ولطم ثالث بساقه، فصاح بهم بغضب لم يجدوا له مبررًا:

- اغربوا عن هنا.. ما بالكم؟.. هل استوليتم على مرقدي؟

أسرعوا يهربون من غضبه، ململمين ثيابهم بعشوائية، والتقط هو إسدالاً ارتداه، وجلس ينفخ في غضب، ملتمسًا بعض الهدوء..

الخوف الآن من الشيطان..

لا، بل منهم جميعًا.. لا بد أنهم سيدركون هجمته على (داسم).. هؤلاء الملاعين يتوصلون معًا.. لا، لا.. هم يتوصلون بالمراسيل، أو عبر البوابة اللعينة التي عبر منها إلى (ارم).. هممممم.. هذا يعني أنه لو تم إرسال مرسال، فسيستغرق بعض الوقت.. لكنهم لو فتحوا البوابة، فإنهم سيستطيعون نقل جندهم في لحظات إليه، وعندها...

ارتعد جسده وهو يتخيل ما سيحدث..

إذن لا بد أن تغلق البوابة للأبد.. أو على الأقل، أن تتعطل في هذا الوقت.. لكن كيف؟..

كيف؟..

تذكر أنه قرأ عنها في كتاب أسرار الموتى الذي أعطاه إياه (داسم).. كان قد رد الأصل إلى الأخير، لكنه احتفظ بإحدى النسخ

لنفسه بطبيعة الحال.. نهض إلى خزانته، ففتحها والتقط منها الكتاب..

بهمة -ورغم ثقل حجمه- نقله إلى منضدته، وجلس إليه مقلبًا في صفحاته، حتى وصل إلى الصفحات التي تتحدث عن البوابة.

* * *

نافذة الشيطان على الأرض، وفي قلبها كل المراد *.. نلتقي فيها لنتسامر، أو نرتحل بين نواصي الأرض.. الداخل فيها غيرنا مفقود - ما لم يدخلها بإذن أو رفيق - فـ (هويا باكيو) بوابة الشيطان.. من يدخلها، فبإذنه، أو لا يعود.. محرمة على البشر، إلا من اتبع **.. إن كنت كبيرًا أو صغيرًا، فحالك واحد.. لن يراك أهلك، ولن تعود.. وإن عدت، فالموت أهون.. سنتسلى بك ونمرح، فتكوى بالنار، وتفقد عقلك مما سترى*..**

---

* تتركز معظم النشاطات الخارقة للطبيعة في غابة (هويا باكيو) ، على بقعة في قلبها تعرف حاليًا بـ (الدائرة الغامضة)، وهي مساحة خالية من الأشجار.

** هجر السكان الأصليون الغابة بعد تكرار سماع أصوات غريبة بالإضافة لأنوار مجهولة ورؤية ظلال تتحرك بلا أجساد، وسماع صوت ضحكات.

*** اشتهر وذاع أن زوار الغابة يختفون، وإذا عاد بعضهم فذلك من دون أن يتذكر شيئًا، والغالبية يعودون بطفح جلدي غير معروف السبب، تصاحبه حروق!.. أشهر القصص وأغربها حادثة اختفاء طفلة تبلغ من العمر 5 سنوات، عندما كانت تتجول في الغابة فاختفت.. بحث والداها عنها بلا هوادة، ولكن لم يتم العثور على أي شيء يخصها.. وبعد خمس سنوات من البحث المخيب للآمال، كان قد تم خلالها إعلان وفاة الفتاة رسميًا من السلطات، خرجت فجأة من الغابة، دون أن تتذكر ما حدث لها.

اذهب وارحل، لا تأتي..

لست من أتباعنا، فاحذر أن تغرق في بحر الأصوات*..

كانت هذه الكلمات بداية ما قرأه (الحظرد) في الكتاب عن البوابة.. كان الأمر مملاً، فهو يبحث عن الحل لإغلاقها، وليس لوصفها *!..

أخذت عيناه تلتهمان الحروف والكلمات سريعًا.. هممم.. هممهمم.. هممماهها.. آها.. **كيفية فتح البوابة للأتباع..**

---

* بعض الناس الذين يعيشون بالقرب من الغابة، أبلغوا السلطات عن سماعهم لأصوات مرعبة وصراخ في منتصف الليل.. جاء رجال الشرطة ودخلوا الغابة، وأفادوا - في تقريرهم الرسمي - بأنهم سمعوا همسات وأصوات، مع لمحات لظلال غريبة حولهم، ففروا من الغابة مهرولين من الفزع!.. وجاء في التقرير: " لم يكن هناك نشاط إجرامي هناك، ولكن أيا ما كان، فقد تأكدنا من أننا لن نعود" .
في اليوم التالي، أُصيب الشرطيان بصداع نصفي شديد وغثيان، مع وجود علامات حرق غير مبررة على جسديهما.
* قبل أن ننهي الوقائع عن الغابة، نود التلميح إلى أنه قد غادر فريق من (لوس أنجلوس) - دُعي ببعثة جوش جيتس - للتحري والتحقيق في قصص الغابة بقيادة جوش ومعه ايفان وريكس.. فلما ذهبوا إلى الغابة تلقوا تحذيرا صارمًا من السكان الأصليين يقولون فيه: إذا دخلتم الغابة لن تخرجوا.
لكنهم لم يبالوا وأصروا على عزمهم ثم ذهبوا إلى أقرب حدود للغابة.. وفي الليل ذهب جوش وريكس بمفرديهما إلى (الدائرة الغامضة)، حيث شاهدا أضواء غريبة في السماء.. أما ايفان فذهب وحده لقلب الغابة، فلما تأخر، ثار قلق زميليه عليه، فبحثا عنه حتى وجداه ساقطا على الأرض وعليه علامات جروح وبعض الضربات.. قال: ريح شديدة دفعتني، ونار تحت جسدي، وضربة قوية من مجهول.
كما أخذوا عينة من التراب إلى اقرب مختبر لكن التحليلات لم تعطي نتيجة صحيحة (!!).

لوشلوم .. شلومخ لوطوف.. سيدي الشيطان، عبدك طائع، يطلب الدخول.. لوشلوم .. شلومخ لوطوف

لا تنس أن تقذف حفنة من الرمال.. **عاخشاف نعفور، عاخشاف نعفور.. فافعل في نفسي- وجسمي فعل الترياق.. عاخشاف نعفور، عاخشاف نعفور..** لا تنس الرمز المقدس، والنجمة الخماسية..

(هويا باكيو) تنفتح الآن.. أتا لوشلوم.. عندئذ، تنفتح البوابة لك..

عظيم.. عظيم.. فماذا عن إغلاقها؟.. عادت عيناه تلتهمان الحروف والكلمات سريعًا.. هممم.. هممهمم.. همماهها!.. آها.. **كيفية غلق البوابة للأتباع..** إذا أردت أن تغلق البوابة بعد المرور، فعليـ... لا، لا..

الإغلاق التام.. هممم.. هممهمم..

أذكر أنه كان هنالك نص لعين عن الإغلاق التام.. أين ذهب؟.. بعصبية، قلب الصفحة.. **إذا أردت أن تغلق البوابة نهائيًا..** نعم، أخيراً.. بلهفة انطلق يقرأ.. **فعليك بالخطوات التالية** واحرص على أن تكون بنفس الترتيب:

1- ممارسة الفحشاء

2 - النجاسة

3- ذبح عابد أو تقي

4- أكل اللحم النيئ

5- تناول (كأس القربان)***

6- استخدام رمز البهيموت *

7- قراءة النص التالي: **من يضربني على خدي، أضربه بيدي على جسده كله.. أبدًا لن أحب جاري، بل أحتقره.. لن أتزوج، وسأنغمس في اللذات والشهوات.. لن أنجب، وسأكون للشيطان فقط.. سأستمع إليه.. هو لن يأمرني إلا بما يؤكد ذاتي، ويجعل وجودي حيويًا.. سأطلق العنان لأهوائي، وأتبع الشيطان.. فالشيطان هو الحكمة.. ليس لديه أفكار زائفة، تمتلئ بسرابية الهدف.. أفكاره محسوسة.. ملموسة.. مرئية.. لها مذاق.. أنا أعبد الشيطان وأتبعه.. فهو الحياة غير المشوهة، والتي لا خداع فيها للنفس.****

7- استدعاء سوسترجيل * وتلقينه الأوامر**.

*** شرب مزيج من الدم والخمر و(عفوًا) البول

* الرمز المستخدم لتمثيل قوى الشيطان منذ أقدم العصور

** النص معدل ومحرف ومختصر، والأصل موجود في طقوس عبده الشيطان.

* الذي يعلم فنون السحر والشعوذة والكهانة وله فعل خارق ويعطي جنودًا أشداء

** قام المؤلف باستبعاد الكثير من المعلومات والشعائر التي وجدها، والتي تتحدث عن السحر الأسود أو استحضار الشياطين وما إلى ذلك.. راجيًا القارئ الكريم ألا يبحث وراء هذا الشطط المارق إن أراد النصح، فالأمر جد خطير.. وانزلاق المرء فيه ولو على سبيل التجربة، يضع صاحبه لا محالة في خانة الكافر كما هو ثابت في الدين الإسلامي، وأيضًا قد تكون لا رجعة عنه.

تنهد (الحظرد) بفرحة لا مراء فيها.. تنهد، وهو يلقي بصدره على الكتاب المفتوح دفتيه كما لو كانا ذراعين يحتضنانه..

ونام اللعين..

نام كما لم ينم من قبل!..

نام وهو قرير العين، يمني النفس بحلمه المجنون.

* * *

الفصل الرابع
حرب الظلام

"كيف سقطت من السماء يا نجم الصبح المنير؟
كيف طُرحت إلى الأرض يا قاهر الأمم؟
قلت في قلبك: أصعد إلى السماء،
أرفع عرشي فوق كواكب الله،
أجلس على جبل الآلهة في أقصى الشمال.
أصعد فوق أعالي السحاب وأصير مثل العليّ.
لكنك انحدرت إلى عالم الأموات إلى أعماق الحفرة."

مما جاء في سفر (أشعياء) 14: 12-15

1

آينا

إكلاسيدس لوفروف، معنيان راتوم

نطق (الحظرد) بالجملة السابقة بحزم وقوة، وهو يقف في مواجهة مجموعة قاده الكائنات..

كانوا قد نظموا أنفسهم، فلجأ كل نوع إلى جزء صغير من الأرض الضنينة التي حبسهم فيها الأول، واختاروا لأنفسهم قائد أعلى ليتولى توجيههم، كما لو أنهم في أرض خاصة، ولها حاكم..

وبعدها، قام كل قائد بتعيين مساعدين له، يتولون تنفيذ أوامره وترتيب قومهم..

ومساء ذلك اليوم، أمر (الحظرد) حراسهم الشياطين أن يجلبوا له قائد كل جماعة.. وهكذا وقفوا أمامه بأشكالهم المريعة، يزمجرون بغضب وخوف، متوترين منه ومن بعضهم البعض..

إكلاسيدس لوفروف، معنيان راتوم

جعلتهم الجملة يركعون أمامه في ذل وخضوع، وقد أبدوا الطاعة لمن بيده أن يسحقهم بعلمه الكافر..

أشار (الحظرد) في صرامة للشياطين أن تغادر، فهمهموا معترضين.. لكن نظرة عينه القاسية وهو يمسك بنجمة خماسية - معلقة على صدره- جعلتهم يهرولون، منفذين الأمر..

كان قد أعد عدته، فتحمم بالماء النظيف، وجعل إحدى جواريه تُدخل سرًا إلى الغرفة -بعد خروج الحراس- سورة الفاتحة، وقد كُتبت على عُجالة على ورقة نظيفة...

وضعها في وسط الغرفة، ووقف هو الكيانات حولها، ثم أشعلت الجارية حولها - في دائرة - شموعًا سوداء وقرمزية وحمراء* ..

---

* في الطقوس، تمثل روح النار والرغبات الغريزية المتقدة، ولهيب جهنم.. و(الحظرد) هنا يثق أن الشيطان سيتفاداها، حيث أن تأثير اللهب عليه مؤلم مثل كافة المخلوقات.

كان يريد ضمانة أن الشيطان – أو أحد جانه - لن يتواجد في الغرفة من دون أن يراه..

وبتوتر لم يزول - امتزج بالفضول - تبادل قادة المخلوقات نظرة حائرة.. نظرة رآها وفهمها (الحظرد)، فقال بصوت صارم:

- أنتم تتساءلون لماذا استدعيتكم اليوم، ولماذا أمرت حراسكم بالانصراف.. بداية لا تظنوا أني بحاجة لهؤلاء لشياطين، فأنا الذي أحكمكم وأسيطر عليكم، وعليهم معكم.. والويل لمن يخال منكم أني ضعيف، أو أن بإمكانه مواجهتي.. حينها سيعرف مقدار قوتي.

قد طأطأوا الرؤوس علامة على الطاعة، فتنهد سرًا ولم يبد عليه وهو يتابع - بنفس الصرامة والقوة:

- لقد مر عليكم الزمن طويلاً وبطيئًا وأنتم في ذل وخضوع، بعدما ضعفتم ووهنتم ثم أطاح الجان ببقيتكم.. التجأتم لأعماق المحيطات وأغور الكهوف والمغائر.. سكنتم الظلام أنتم ونسلكم..

اليوم، سأعيد لكم مجدكم، وستعودون لظهر البسيطة..

رفعوا رؤوسهم إليه مشدوهين غير مصدقين، فتابع:

- لكنكم ستظلون أبد الدهر تطيعونني.. والويل – كل الويل – لمن يفكر في التمرد أو الخيانة.

همهموا بكلام غير مفهوم من فرط دهشتهم، فتابع:

- القادم سيكون رهيبًا، ومكافأتي لكم أني سأقوم بتقسيم الأرض بينكم.. كل قوم ونسل منكم سيسكن مساحة من الأرض شاسعة، يحكمها ويملك من فيها من بشر وحيوان وزرع.. لكنكم جميعًا ستكونون ملكي.. تأتمرون بأمري، وتنفذون مشيئتي.. وسيسود السلام بينكم، وسأهلك من يفكر في إيذاء الآخرين.. هل هذا يناسبكم؟

صمتوا..

صمتوا طويلاً..

كانوا يفكرون في هذا الكلام العجيب، وهذا العرض غير المفهوم، ونتائجه التي – إن خاب- ستكون وخيمة عليهم جميعًا..

الأمر لا يحتاج إلى ذكاء، هناك أمر يدبره هذا الإنسي.. أمر ضد الشياطين الذين يطيعونه..

لكن لم؟..

أليسوا الشياطين مُسَخرين له؟

لم يكونوا يعرفون بطبيعة الحال قصة (الحظرد) مع أبناء الشيطان، ثم مع الشيطان بعدها.. كل ما يعرفونه، هو ما يرونه أمامهم، وجعلهم في حيرة من أمرهم..

حتى نطق واحد من نسل (الدن) – بما عرفنا عنهم من ذكاء-

فقال وهو لا زال مطأطئ الرأس، بلغته القديمة:

- (الدن) يقبلون هذا العرض - أيها السيد العظيم - ويتعهدون لك بالوفاء والإخلاص..

قصد أن ينطق بلغته الخاصة، ورفع رأسه ببطء، مكملاً:

- العرض أجمل من أن يُرفض.. أما لو فشل مسعى السيد العظيم، فهلاكنا أفضل من بقاءنا بهذا الوضع المخزي.

التمعت عينا (الحظرد)، ففهم الدني أنه على علم باللغات المندثرة، واستمع له يقول:

- أحسنت يا قائد (الدن) وأصبت.

هنا زمجر قائد (الحن) وقال:

- نحن قوم حرب ولسنا قوم دعة، ولن نتراجع أمام ما يُقبل عليه (الدن) الضعاف.

أومأ قائد (الخن) برأسه مؤمنًا، على حين ابتسم قائد (الدن) في خبث، واستمعوا جميعًا للـ (الحظرد) يقول بصرامة:

- أحسنت وأسأت.. فعليكم جميعًا أن تنسوا خلافات الماضي.. اليوم أنتم حلفاء، والويل لمن ينسى أو يتجاهل هذا.. هل تفهمون؟

أومأ قائد (الحن) برأسه، وتوالت إجابات باقي القاده، وقد تشجعوا.. هم يثقون - رغم العداوات - بذكاء (الدن) وقوة (الحن).. فما داموا قبلوا، فلا بد أن يقبل الجميع..

وهكذا، طلب منهم (الحظرد) عهد الـ (آينا)..

وارتجفوا جميعًا..

فرغم اختلاف تلك الكيانات وتنوع مفاهيمهم، إلا أن لديهم أمرًا واحدًا ثابتًا يثقون فيه ويؤمنون به، وهو عهد (آينا)..

كثير منهم كافر، والبعض ملحد - كحال البشر منذ بدأ الخلق - إلا أنهم يحترمون ويرهبون (آينا)..

الـ (آينا) هي أسطورتهم المفضلة..

عهد الأرض كما يدعونه..

إنك إذا عاهدت أحدًا بعهد الأرض (آينا) ونكثته، فهذا يعني أنك ستذوق أشد أنواع الألم..

حين تبدأ في الذوبان، وتراقب أجزاء جسدك وهي تنفصل بقوة كما لو أن مغناطيس - لو كانوا يعرفونه - يجذبها أسفلك فتسقط إلى الأرض، وترى أرواح أسلاف من خنته يهرعون إليك ليتجاذبوا أطرافك لتتقطع فتنوح وتبكي، وينطلقوا بما حصلوا عليه كل إلى صوب واتجاه، فتضيع بين أرجاء المعمورة وتتيه روحك للأبد..

إنه يهبط الى ابواب الهاوية

لا أنت ميت، ولا حي لك جسد..

وخشية الناكث طول ايامه على هذا التيه

إنه أشد أنواع العذاب الخالد..

احذر الـ (تارتاروس)* ولا تنكث بالـ (آينا)..

.....

فعاهدوه..

كان هذا هو سبيل الخلاص أمامهم، ولعل القادم أفضل..

وابتهج (الحظرد)..

وبذاك السحر الأسود القمئ، القادم من أعمق بحور الشر والظلام، أعطى كل منهم قلادة صنعها خصيصًا له.. قلادة ألقى عليها تعاويذ توكل (ماندراجوريس) و(تاريهيمال)** لعقاب من يخون منهم..

لم يكن لديه استعداد للثقة، حتى رغم العهد..

لم يكن لديه استعداد للثقة، وهو في سبيله لخيانة من أعطوه أكثر مما تمنى في الدنيا..

لم يكن لديه استعداد للثقة، وهو الذي يتآمر ضد الشيطان ذاته!.

* * *

---

* مذكور في الأساطير الإغريقية القديمة، وهو مكان بعيد تحت الأرض (العالم السفلي) ، وهناك تعذب هذه الأرواح عذاباً أبدياً تحت حكم (هاديس)

** في المعتقدات والأساطير، شيطانان يحكمان على كافة البحور والمياه على الأرض، ولهما سلطان كبير

حكى لهم (الحظرد) – باختصار شديد ودون تفاصيل- حكايته.. وشرح لهم خطته – وهو واثق من أنهم لن يفشوا السر – وطموحه للتخلص من الشيطان وأتباعه، كي يستقر له حكم الدنيا..

و مجددًا وعدهم بكل الخير لهم..

وكانوا لا يملكون سوى الطاعة والأمل..

كانت أول أوامره، أن تقوم الكائنات بالترتيب سويًا فيما بينها للتخلص من الشياطين الحارسة، ولكن... بعد أن يستعدوا جيدًا لحرب ضروس مخيفة، للتخلص من (داسم)..

وطمأنهم لقدرته على إغلاق البوابة..

وبعد أن اتفقوا على كافة الأمور، استدعى الشياطين الحارسة، فأعادتهم لمحبسهم..

وهناك، جلس كل قائد جماعة مع قومه، فشرح لهم ما جرى مع (الحظرد)..

ولمعرفتهم بالعهد، لم يملكوا سوى الطاعة بدورهم..

وفي خبث، افتعل أقوامهم مشكلات وعراكات وهمية، شغلت الشياطين عن القاده، فالتقوا ورتبوا الأمر واتفقوا على دور كل منهم..

وانتظروا..

سيدهم (الحظرد) أمرهم أن ينتظروا إشارة منه..

وفي زاوية (الدن) ذات مساء، جلس أتباع القائد معه، وسأله أحدهم:

- ما مصيرنا لو فشل هذا الإنسي في مسعاه المجنون؟

قال آخر:

- سيطيح بنا الشياطين ويمزقوننا إربًا.

أجابه القائد:

- وهل تظن حالنا الآن جيدًا.. لَلموت عندي أهون من هذه الحياة الأليمة.

أومأ تابع ثالث برأسه، وقال في حزم:

- فعلاً.. لقد خرجنا من ظلمات المخابئ، إلى نور المهانة..

قال الأول:

- وكيف سنفعلها؟

أخذ القائد يشرح لهم ما اتفق عليه مع قاده الكائنات الأخرى، التي كانت في نفس اللحظة يدور بينها نفس الحديث تقريبًا..

عدا قوم (الحن) الذين كانوا يتباحثون في أمر آخر..

إذا تم للإنسي مأربه، فبعد التخلص من الشياطين، سينقضون على الكائنات الأخرى - وهي أضعف منهم بكثير على عددها الكبير - فيتخلصون منها، ثم يتسلون باللهو مع ذاك الإنسي الحقير، الذي يظن أنه ملك الدنيا وأنهم عبيده..

لقد تخلص (الحن) منذ زمن بعيد من فكرة العهد، وهو بالنسبة لهم خيال، مثله مثل الرب..

كانوا كلهم قد ألحدوا وكفروا بالخالق - عز وجل- فأي أشباح سيؤمنون بها؟!!..

وضحكوا في خفوت ملء أشداقهم.. ولربما كانت أول ضحكة يطلقونها منذ زمن بعيد.. وقاطع ضحكاتهم ذلك الشيطان الحارس، المسربل في الظلام، والذي جاء يستدعي القائد للقاء (الحظرد)..

وبكل مهانة، وربما غضب من تلك الضحكات الخافتة، أخذ يدفعه أمامه بكل عنف وقسوة، حتى ألقى به تحت قدمي (الحظرد) إلى جوار قادة الكائنات الأخرى الذين سبقوه بالحضور، ثم غادراً منصرفًا بحنق كالعادة..

وفي غضب شديد، اعتدل قائد (الحن) وهو يتمتم:

- لأمزقنك بأسناني حين يأتي الوقت.

ضحك (الحظرد) وهو يقول:

- افعل إذن..

نظر إليه (الحني) بلهفة، فتابع بلهجة مخيفة:

- لقد آن الأوان.. وسنبدأ الليلة.

وارتجفت أعماق الكائنات.

* * *

2

محاسم العتمة

بكل المشاعر المتناقضة، والتي جمعت التوتر مع الحماس، والخوف مع الأمل، استمع قاده الكيانات لـ (لحظرد) وهو يقول:

- قبل أول ضوء للنهار، اهجموا على حراسكم، فافتكوا بهم.. ولتتبعوني مع أقوى أفراد عشائركم إلى مسكن (داسم).. الليلة هي السبت الأول من الشهر، وسنجلس أنا وهو لتناول عشائنا المعتاد..

أريد للأمر أن يتم في صمت، كيلا يُنتبه إليكم.. تخلصوا من

الحراس، ومن كل من يقابلكم في طريقكم..

واحذروا حراس النفق، فهم أشداء.. وعندما تصلون للباب، أريد أحدكم أن يصفر صفيرًا خفيفًا، وعندها سأتولى السيطرة عليه، حتى تقتحموا المكان...

هل فهمتم؟

أمنوا على قوله، ثم عادوا إلى محبسهم وحراسهم، على حين أحرق هو سورة الفاتحة وأطفأ الشموع، ثم نادى بعض جواريه، وجعلهن يعبثن معه حتى صار جُنبًا، فدفعهن جانبًا، وسار مناديًا رجلين يمسكان بينهما بشيخ مسن يقاوم خوفه، مرتلاً بعض آيات القرآن الكريم..

5- ذبح عابد أو تقي

نعم، لم ينس..

هذه أفضل فرصة، فسيكون في مسكن (داسم)، جالسًا معه، وأمامه تقع إحدى ثغرات البوابة..

سيتم ذبح العابد بحجة أنه فرصة طيبة لابن الشيطان.. صحيح لحم الشابات طيب المزاق، إلا أن التهام جسد تقي ورع لهو ألذ..

ولم يعارضه (داسم)..

صحيح أنه امتعض من مرأى الوجه المتغضن أول الأمر فكاد

الغضب يملأه، إلا أنه قهقه بسعادة من مدى الشر الذي يوقن في نفس (الحظرد)..

وبحماس وشهية حقيقيين، أقبل على الشيخ الذي تجمد من هول ما يرى، فلم يستطيع حتى أن يتلو آيات الذكر الحكيم..

عابد أو تقي.. إذن هو عابد..

هكذا حدث (الحظرد) نفسه، فسأله (داسم) - وقد سمع أفكاره- من بين صرخات الشيخ وهو يقتطع من جسده:

- ماذا تعني؟

ضحك (الحظرد) ضحكة مفتعلة، وهو يجيبه:

- أراه توقف عن قراءة القرآن، فأدركت أخيراً معنى الفارق بين أن تكون عابدًا مجتهدًا، وأن تكون تقيًا مؤمنًا بالكامل.

زمجر (داسم) في حنق، وقال - ملقيًا قطعة اللحم البشري في فيه:

- هل تُراجع دروس اللغة الآن؟

ضحك (الحظرد)..

ضحك ضحكة فاضت بالتوتر والخوف والأمل..

ضحك وهو يمد يده ممسكة بخنجره، وبدلاً من أن يقتطع من الجسد المتألم كما توقع (داسم) مر بالنصل الحاد على العنق،

فسالت الدماء تصاحبها الروح الطاهرة..

وفي غضب، هتف (داسم):

- تبًا لك.. لماذا قتلته؟.. أنت تعرف أني أحب التهامهم أحياء.

أسرع (الحظـرد) - مقاومًـا ذاك الإحسـاس المخيـف بعـد أن انتشرت في الغرفة سخونة غضب (داسم) - يجيبـه، وقـد أعـد الـرد مسبقًا:

- إن صوته أجش وقبيح، ليس مثل أصـوات الشـابات الحسـان.. كاد يفسد شهيتي.. سامحني يا سيدي.

وانحنـى في خضـوع وذل، فصـمت (داسـم) لحظـات، قبـل أن يقول:

- حسـن، معـك حـق.. هيـا، هيـا.. لـن نفسـد شـهيتنا.. تنـاول طعامك.

وضحك مجددًا، وجاوبه (الحظـرد) الضـحكات، وقـد بـدأ قلبـه يطمئن...

وبكل قوته وقدراته، قاوم أن يفكر في أمر الكائنـات، وإلام صـار الأمر معهم؟

* * *

حين عاد قاده الكيانات إلى محبسهم، ذهب كل قائد لجماعتـه،

وأعطاهم الإشارة..

وفي هدوء، وكما اتفقوا مسبقًا، بدأوا يتحركون بحذر وبطء تحركات لا تلفت انتباه الحراس..

بعضهم ذهب إلى منتصف الأرض، أولئك الذين سيؤدون دور المتعاركين معًا.. وبعضهم ذهب إلى أطراف الأرض - بقرب الشياطين- حتى إذا ما انطلقوا لفض العراك، صار هؤلاء خلفهم، فيقع الشياطين بين شقيَ الرحىَ.. أمامهم المتعاركون وخلفهم الآخرون..

وبدأ الأمر..

وكان فوضويًا..

بكل الغل الساكن في أعماق المخلوقات، والغضب، والأمل.. انقضوا على الشياطين..

ومزقوهم إربًا..

ولم يتخلوا عن حذرهم، كمموا الأفواه الخنازيرية، فلم يصدر عنها صوت..

ثم وقفوا يلهثون..

ينظرون إلى الأشلاء بعصبية، قبل أن يرفعوا عيونهم إلى بعضهم البعض.. وأسرع قائد (الدن) يهتف بهم بخفوت:

- لا.. إياكم.. لم نعد أعداء.. نحن حلفاء.. تذكروا..

نظروا إليه في توتر، فتابع:

- لم ننته بعد.. هناك الكثيرين منهم، فلم ينته الفتك بعد..

كانت غريزتهم الوحشية قد ثارت، فاطمأنوا إلى أنهم لا زال لديهم الكثير ليغرقوا فيه من الفتك والقتل والتدمير.. انتبهوا سريعًا، وعادوا لاكمال خطتهم..

تسلل منهم نفر بقيادة قائدي (الدن) و(الحن) إلى حيث (داسم) و(الحظرد)، على حين انهمك الباقين في التسلل إلى المدينة، والفتك بكل من يقابلهم..

شياطين، ومردة، وبشر..

لم يفرقوا..

ومع قوتهم وعددهم، وغلبة المفاجأة، لم يستطيع الآخرين مواجهتهم، فسقطوا..

المكان الوحيد الذي لم يهاجموا من فيه، كان هو قصر (الحظرد)..

وفي ذلك الوقت، كانت الفرقة التي ستداهم مقر (داسم) قد وصلت إلى النفق، ودفعوا حارسي باب النفق أن يدلفوا أمامهم، فلما رآهم الحراس الآخرين، لم ينتبهوا للكائنات وراءهم..

النفق ضيق، بالكاد يتسع لاثنين متجاورين..

مظلم..

ساخن..

ملئ بالأشلاء.. ففي لحظات - وهدوء - كانوا قد قضوا على الحراس.. وأمام الباب المخيف، المملوء بالنقوش الشيطانية، وقفوا، وفي خفوت – وخوف – أطلق أحدهم صافرته..

وسمعها الحظرد..

وارتعد جسده رعدة لم يرها (داسم).. وعلى بقايا الشيخ - وقد فرغا من التهامه- مد يده ببطء حذر، فأخرج زاده السري..

1- **ممارسة الفحشاء** تمت، قبل أن يأتي إلى هنا

2 – **النجاسة** هو لم يستحم

3- **ذبح عابد أو تقي** تم

4- **أكل اللحم النيئ** تم

5- **تناول (كأس القربان)** تم

5- **استخدام رمز البهيموت** أخرج ورقة من جيبه عليها الرسم الرهيب فوضعها على بقايا الشيخ..

6- **قراءة النص التالي** أي سيدي (داسم).. هل سمعت الكلمات التي كتبتها لمولاي، أبيك؟..

غمغم (داسم) مبتسمًا:

- أتكتب الشعر يا (آبدولا)؟

- كنت قديمًا.. لكنها ليست أشعار، بل هي تمجيد له.

ضحك (داسم) – مزاجه رائق الليلة هذا الملعون- وقال:

- ستزيد حظوتك لدى أبي، فهو يحب المتملقين.

ابتسم (الحظرد) في صمت وهو ينظر لـ (داسم) نظرة فهمها، فأشار له وهو على ابتسامته أن يقرأ.. فقرأ متلعثمًا من شدة التوتر:

- من يضربني على خدي..... جاري، بل أحتقره..... أنغمس في اللذات والشهو..... سأكون للشيطان.... يؤكد ذاتي... حيويًا.... العنان لأهوائي، وأتبع الشيطان..... هو الحكمة..... أفكار زائفة.... محسوسة.. ملموسة.. مذاق.... أعبد الشيطان..... لا خداع فيها للنفس.. (تم)

صفق (داسم) بيديه في حركة مسرحية بدت لـ (الحظرد) سخيفة، وهو يقول:

- أحسنت.. صدقني سيرفعك أبي منزلة جديدة بعد هذه الكلمات.

7- استدعاء سوسترجيل وتلقينه الأوامر ابتسم (الحظرد) ابتسامة، أظهرت بعض الشر الكامن في أعماقه، وغمغم:

- مهلاً قليلاً بعد يا سيدي.. لم أنته بالكامل.

اتسعت ابتسامة (داسم) وأغمض عينيه مستمتعًا، وهو يقول:

- أكمل يا خادمي الأثير.. كلي آذان صاغية..

خادمك الأثير؟.. سترى يا بن اللعين.. اخترقت الفكرة عقل (داسم) فانتفض، واتسعت عيناه في ذهول، غير مصدق أن ينطق (الحظرد) بهذا!.. لكن الأخير كان قد بدأ بالفعل ترتيل كلمات الاستدعاء..

وقبل أن ينتفض (داسم) على عرشه الحجري، كان كيان أسود بشع - أشد كآبة من (داسم) نفسه - يتجسد في المكان..

هب (داسم) من مجلسه، لكن قبل أن يتحرك أدنى خطوة، ألقى (الحظرد) على وجهه ببضع نجوم خماسية، منقوش عليها آيات من القرآن، فأعمته وأحرقت كل موضع من جسده سقطت عليه..

ونادى هو على الكيانات، فاقتحمت المكان، وتجمدت للحظة، مع رؤيتها لـ (داسم) و(سوسترجيل)..

كان كلاهما مخيفًا حتى بالنسبة لهم، فترددوا بخوف حقيقي، إلا أن صيحة حازمة من (الحظرد) - وهو يشير إلى (داسم) - جعلتهم ينقضون على الأخير، مطلقين صيحات همجية، ويغرزون في جسده أسلحتهم ومخالبهم وأنيابهم..

ووسط كل هذا، وقف (سوسترجيل) هادئًا كأنما الأمر لا يعنيه، فتطلع إليه (الحظرد) بتوتر، وإن قال بصوت حاول أن يجعله قويًا:

- اغلق (هويا باكيو) إلى أن أطلب منك فتحها.

نظر إليه (سوسترجيل) لحظة، فقال الحظرد بعصبية شابها الخوف:

- ألم تسمعني؟.. تجب عليك طاعتي الآن.

مال نحوه (سوسترجيل) بحركة مخيفة، جعلت (الحظرد) ينتفض فيسقط إلى الوراء، وهو ينظر للكيان الهائل المخيف، يقول:

- لا أظن الشيطان سيقبل ما يجري هنا.. أنت تنقلب عليه، وقتلت ابنه.. لا طاعة لك عندي، فأنا هنا بقوة الشيطان..

ارتعد (الحظرد) وامتقع وجهه، وأدرك تلك الغفلة التي أصابته..

كل ما في التعليمات، هو أوامر شيطانية.. ومن يطلب الأمر، هو تابع للشيطان.. والأهم، أن يكون برضا الشيطان..

ولن يرضى الشيطان عن هذا..

لن يرضى أبدًا..

وفي هذه اللحظة فقط، أدرك (الحظرد) أنه هالك!!

* * *